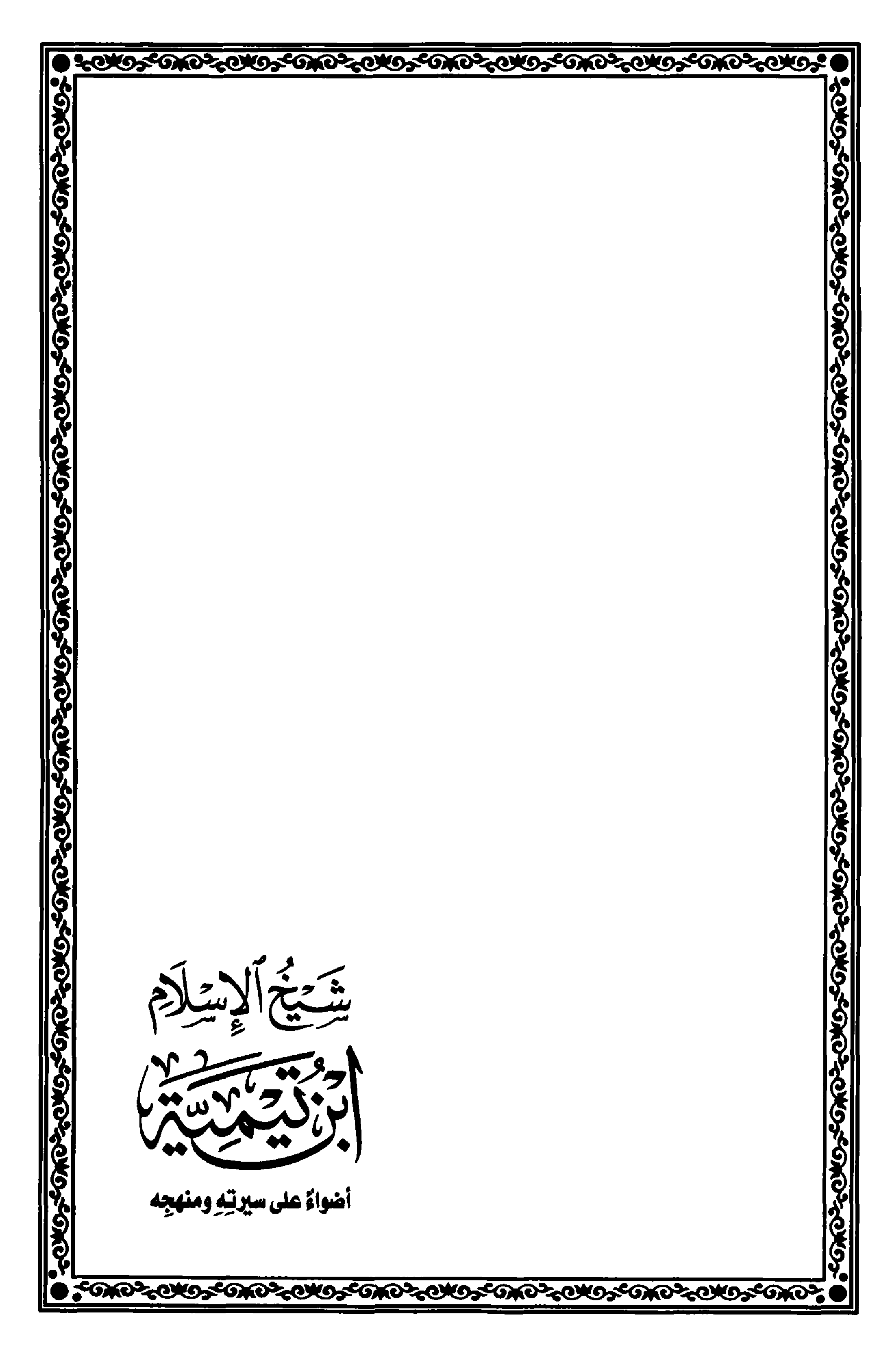


تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد

دار ابن الجوزي


شيخ الإسلام
ابن تيمية
أضواءٌ على سيرتِهِ ومنهجِه

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، ١٤٣٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحمد ، محمد إبراهيم
شيخ الإسلام ابن تيمية أضواء على سيرته ومنهجه .
/ محمد إبراهيم الحمد . - الدمام ، ١٤٣٩ هـ
١٦٠ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك : ٥-٠٩-٨٢٤٥-٦٠٣-٩٧٨
١ - ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم ، ت ٧٢٨ هـ   ٢ - التوحيد
أ . العنوان
ديوي ٩٢٢ . ١١٧   ١٤٣٩ / ٩١٥٢

رقم الإيداع : ١٤٣٩ / ٩١٥٢
ردمك : ٥-٠٩-٨٢٤٥-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
(١٤٣٩هـ)



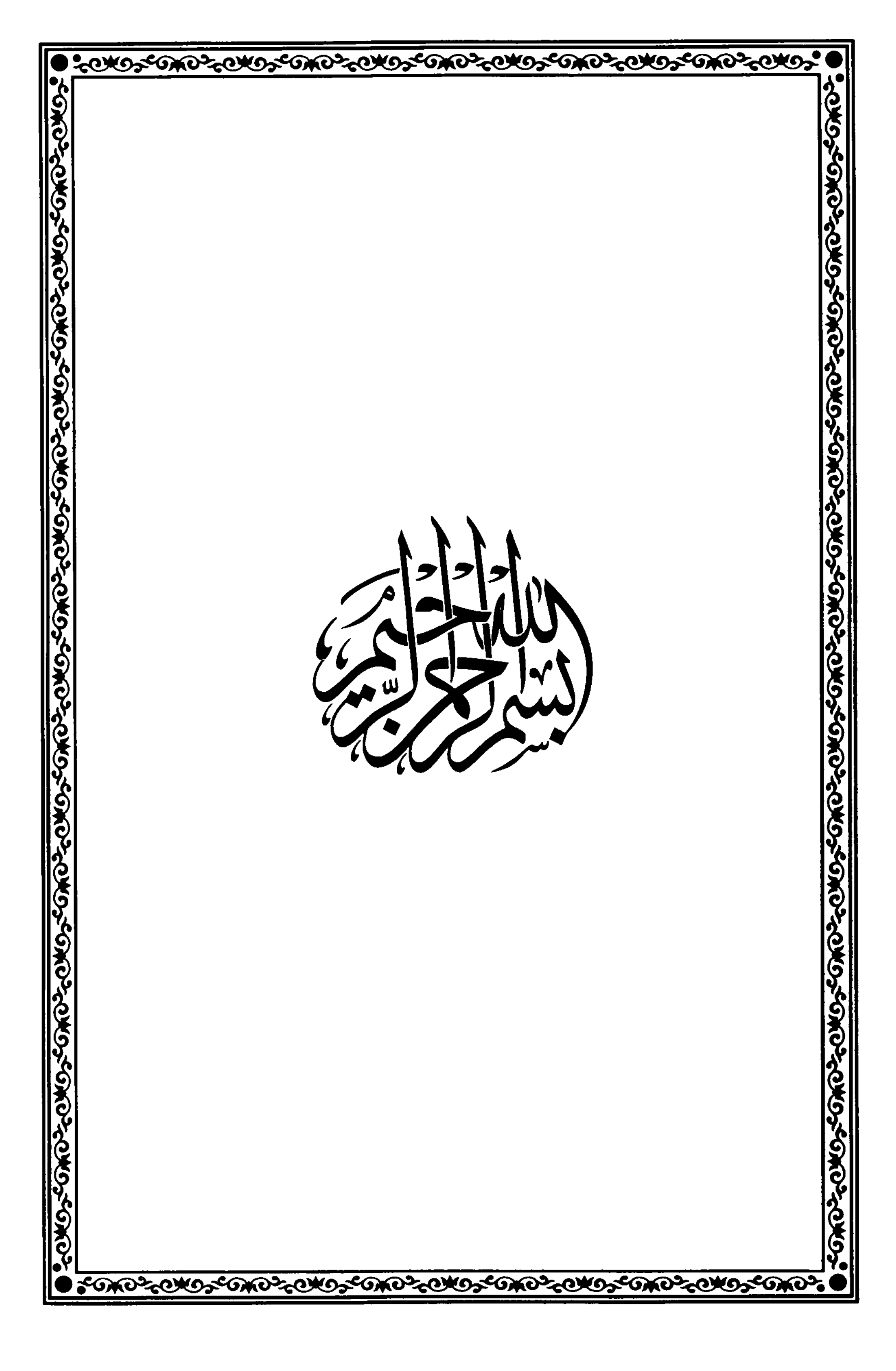
دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت : ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣ ، ص ب ٢٩٥٧ واصل: ٢٩٥٧ الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي : ٨٤٠٦ - فاكس : ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس : ٢١٠٧٢٢٨ جوال : ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - ت : ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت : ٦٨١٤٥١٩ - ٠٥٩٢٠٤١١٣٧١ بيروت : هاتف : ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس : ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج٠م٠ع - محمول : ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨ تلفاكس : ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

الموقع الإلكتروني : www.aljawzi.Net   البريد الإلكتروني : aljawzi@hotmail.com

Whatsapp : ٠٠٩٦٦٥٠٣٨٩٧٦٧١   instagram : @aljawzi   Twitter : @aljawzi

Facebook : دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن ابن تيمية عَلَم من أعلام الإسلام، وإمام من أئمة الدين، الذين كانوا يقولون بالحق وبه يعدلون؛ إذ كان ظهوره بداية نهضة إسلامية واسعة المدىٰ، بعيدة الأثر؛ حيث كانت له يدٌ طولىٰ، وقِدْح مُعَلَّىً في تجديد الدين، والدعوة إليه، والذبِّ عنه، ومنازلة خصومه في شتىٰ الميادين، فطَبَّقَت شهرته الآفاق، وكُتب له، ولعلومه القبولُ إلىٰ يومنا الحاضر.

ولقد يسَّر اللَّه لي - كما لكثيرين غيري - الاطلاعَ علىٰ تراث ابن تيمية في بواكير عمري منذ كنتُ طالباً في المعهد العلمي؛ حيث كان اسم ابن تيمية ومؤلفاته تتردد علىٰ أسماع الطلاب، وكانت مؤلفاته ضمن المقررات التي تدرس كالعقيدة الواسطية، والفتوىٰ الحموية.

إضافة إلىٰ حضور آرائه، وأقواله في شتىٰ مواد الشريعة التي كانت تُدَرَّس آنذاك.

ثم تلا ذلك: الدراسةُ الجامعيةُ، وما بعدها من منهجية الماجستير والدكتوراه، ثم ما كان من استمرار الصلة بآثار ابن

تيمية عبر دروس العلماء، ثم تدريس رسائله في المسجد، أو الجامعة كالواسطية، والحموية، والوصية الصغرىٰ، والتدمرية، وجامع الرسائل، وغيرها.

ثم يسَّر اللَّه لي أن شرحتُ رسالته (الوصية الصغرىٰ) في مجلد، وكان موضوع رسالتي الدكتوراه الأولىٰ في (القصيدة التائية في القدر لابن تيمية دراسة، وتحقيق، وشرح).

ثم كان موضوع رسالتي الدكتوراه الثانية بعنوان (موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من خوارق العادات والمخالفين فيها).

مع ما يحصل من الرجوع الكثير إلىٰ آثاره سواء كان في التأليف، أو تحضير الدروس، أو غير ذلك.

ولا ريب أن الاتصالَ بآثار هذا العالم، والقربَ منها، والوقوفَ علىٰ سيرته ـ لنعمة كبرىٰ؛ ذلك أنه عالمٌ يعَزُّ نظيره ـ كما سيأتي في الكلام عنه في غضون هذا الكتاب ـ.

ولقد تيسر من خلال ذلك: الوقوفُ علىٰ أكثر آثاره، والكثير من الدراسات حوله.

وقد بدا لي أن أدوِّن بعض ما تحصَّل من جراء ذلك من اللطائف في سيرته ومنهجه؛ فاحترتُ، وترددت كثيراً؛ ذلك أن الدراساتِ حول ابن تيمية كثيرةٌ جداً؛ فمنذ بزوغ نجمه في أواخر النصف الثاني من القرن السابع الهجري إلىٰ يومنا الحاضر وهو يأتي في طليعة علماء المسلمين الذين نالتهم عنايةُ العلماء، والباحثين بالتحقيق لآثاره، والتحليل والدراسة لشخصيته، ومواقفه، وآرائه.

ولا يُبَالَغُ إذا قيل: إنه لا يكاد يضارعه عالم آخر من علماء

المسلمين من بعده في ذلك الشأن.

ويشهد لذلك كثرةُ المؤلفات والدراسات الأكاديمية حوله، وتنوعُ موضوعاتها تنوعاً يشهد له بسعة العلم، وطول الباع، وعظم المكانة التي تبوأها في ميادين شتىٰ.

ومن أجل ذلك كانت حياتُه، وتفصيلاتُ سيرته، وجوانبُ نبوغه وألمعيتِه متوافرةً جدًّا، وتكاد تكون معلومةً لدىٰ من له أدنىٰ عناية بتراث هذا الإمام(١).

---

(١) انظر في ذلك علىٰ سبيل المثال: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي، دارسة وتحقيق أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للحافظ عمر بن علي البزار، حققه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٦هـ، والبداية والنهاية لابن كثير تحقيق د. عبدالله التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٨/٢٤٠، و٥٤٩، و٥٧٩، و٩/٢٨٩، و١٥/١١٢، ١٨٤، ٢٧٨، و١٧/٣٢٤، ٤٥١، ٤٨٠، ٤٨٣، ٥٩١-٥٩٣، و٦٥٩، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٧٨، و١٨/٣٣، ٤٥، ٤٥-٤٩، والذيل علىٰ طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، مطبعة السنة المحمدية، تحقيق محمد حامد الفقي، ١٩٥٣م، ٢/٣٨٧-٤٠٨، والشهادة الزكية في ثناء الأئمة علىٰ ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق نجم عبدالرحمن خلف، دار الفرقان-دار الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، وغيرها كثير جدًّا.

وأما الكتب المعاصرة التي تناولت سيرة ابن تيمية فكثيرة جدًّا، ومنها: كنوز الأجداد لمحمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م، وابن =

وقد زادت الرسائل العلمية في شأنه إلىٰ الآن علىٰ أربعمائة رسالة، وهي قابلة للمزيد في قابل الأيام.

وتلك الرسائل ليست خاصةً ببلدٍ دون بلد، ولا جامعةٍ دون جامعة.

بل إنها خرجت من جامعاتٍ شتىٰ عربية وغير عربية.

وذٰلك محض فضل اللَّه، وتوفيقه، ولطفه بابن تيمية، وبالأمة عموماً، ثم ما كان عليه ابن تيمية من حسن الاتباع لمن كان قبله من أئمة الهدىٰ من سلف الأمة الصالح؛ فإن من ائتم بمن قبله ائتم به من معه ومن بعده.

وابن تيمية واحد من علماء الأمة شأنه شأن غيره منهم؛ من جهة أنه يؤخذ من قوله، ويرد؛ فليست له ولا غيره من العلماءِ العصمةُ، فيوجد له أقوال، وآراء يخالِفُ بها غيرَه، ويخالفه بها غيرُه.

ولٰكن العبرة بصفاء المشرب، وكثرة الصواب، وسلامة مصدر

= تيمية لعبدالعزيز المراغي، دار إحياء الكتاب العربي، حققه عيسىٰ البابي الحلبي، وشركاه، مصر، وابن تيمية، د. محمد يوسف موسىٰ، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمعه ووضع فهارسه محمد عُزير شمس، وعلي العمران، إشراف وتقديم د. بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٢هـ.

أما الرسائل الجامعية التي عُنيت بتراث ابن تيمية وسيرته فتزيد علىٰ مائتين وثلاثين رسالة إلىٰ الآن، ومن أهمها، وأوعبها لسيرة ابن تيمية: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

التلقي، وسلوك جادة أهل العلم، وما كان عليه السلف الصالح.

ولقد رأيتُ أن أكتب رسالة مختصرة تجمع خلاصة ما تفرق من لطائف سيرته، ومنهجه؛ لتكون بمثابة المدخل لمعرفة هذا الإمام، خصوصاً لمن قد يسمعون عن هذه الشخصية، دون أن يَقِفُوا علىٰ أغوارها.

وربما سبق إلىٰ أذهانهم ما ليس بصواب؛ فيخالون أن ابن تيمية عالمٌ كغيره من العلماء ليس له تفرُّد ولا إبداع، أو ربما ظنوا فيه الظنون السيئة التي يفتريها عليه حسَّاده المناوؤون له، أو المعادون لمنهجه، أو للإسلام النقي الصافي الخالي من أكدار البدع، والضلالات.

وربما رماه من يرميه بما هو منه براءٌ؛ جهلاً، أو تقليداً دونما تحقق، أو تثبت.

وأما من يعرفون هذا الإمام حقَّ المعرفة من المنصفين أيًّا كانت وجهتهم ـ فلا يملكون إلا إظهار الإعجاب، والانبهار بتلك الشخصية الفذَّة.

لذا كان من أهم البواعث لكتابة هذه الرسالة: الإسهام في نشر سيرته هذا الإمام لدىٰ عامة القراء، وفي أوساط المثقفين ممن ليست لها عناية بتراث ابن تيمية.

أما المتخصصون بدراسته، والمعتنون بتراثه فعندهم الكثير الكثير مما سيكون في هذه الرسالة.

ثم إن وطأة الإساءة لابن تيمية قد زادت حدَّتها، واشتدت ضراوتها في العصور المتأخرة؛ اطِّراداً مع شهرته، وعموم النفع به؛ كي يُصَدَّ الناس من ذلك النمير الصافي؛ فكان ذلك ـ أيضاً ـ

من دوافع إخراج هذه الرسالة المختصرة التي جاءت حاملة المسمىٰ التالي:

(شيخ الإسلام ابن تيمية: أضواء علىٰ سيرته ومنهجه)

آملاً أن يكون لها نصيبٌ من الجِدَّة، والطرافة.

وقد جاءت بعد هذه المقدمة في أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأته، وعلمه.

المبحث الثاني: أحواله، وأخلاقه، ووفاته.

المبحث الثالث: منهجه في التأليف، ودراسةِ مذاهب المخالفين.

المبحث الرابع: الميزات المنهجية لمؤلفات ابن تيمية.

فإلىٰ بيان ذلك، والله المستعان، وعليه التكلان.

د. محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي: ص.ب: ٤٦٠

٨/١/١٤٣٩هـ

جامعة القصيم ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

WWW.M-ALHAMAD.COM

M@M__ALHAMAD.COM

@M__ALHAMAD





المبحث الأول

نشأته وعلمه

وفيه مطلبان:

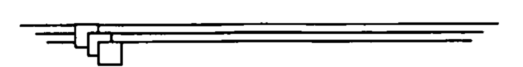
المطلب الأول: نشأته

المطلب الثاني: علمه



المطلب الأول

نشأته



۞ أولاً: اسمه ونسبه:

هو شيخ الإسلام، أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم ابن الشيخ الإمام مجد الدين أبي البركات عبدالسلام ابن أبي محمد عبداللّٰه بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبداللّٰه بن تيمية الحراني النميري.

وينسب إلىٰ قبيلة عربية من بني نمير، ويرجع نسبهم إلىٰ قيس عيلان(١).

۞ ثانياً: سبب تلقيبه بابن تيمية:

قيل في ذلك سببان:

أحدهما: أن جدَّه محمد بن الخضر حج علىٰ درب تيماء،

---

(١) انظر الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار ص١٦، وانظر أعيان العصر وأعوان النصر، لخليل بن أيبك الصفدي ضمن الرسائل الموجودة في كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٣٤٧، وانظر الجامع ـ أيضاً ـ ص٦، و٣٦٧، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبدالرحمن المحمود ١/١٣٦.

فرأىٰ هناك طفلة، فلما رجع وجد زوجته ولدت بنتاً، فرفعوها إليه، فقال: يا تيمية يا تيمية؛ أي أنها تشبه تيمية التي رآها بتيماء.

الآخر: أن جدَّه محمداً كانت أمُّه تسمىٰ تيمية، وكانت واعظةً؛ فنسب إليها، وعرف بها[١].

۞ ثالثاً: مولده:

قال ابن عبدالهادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولد شيخنا أبو العباس بحران[٢]، يوم الاثنين عاشر، وقيل: ثاني عشر، شهر ربيع الأول، سنة ٦٦١هـ، وسافر والده به، وبإخوته إلىٰ الشام عند جور التتار؛ فساروا بالليل، ومعهم الكتب علىٰ عجلة؛ لعدم الدواب؛ فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة؛ فابتهلوا إلىٰ اللَّه، واستغاثوا به، فنجوا، وسَلِموا، وقدموا دمشق في أثناء سنة ٦٦٧هـ»[٣].

---

(١) انظر العقود الدرية ص ٥٤.

(٢) حَرَّان: بلدة في الجزيرة بين الشام والعراق، وهي مدينة قديمة بين الرها والرقة.
وإلىٰ حرَّان ينسب ابن تيمية، فيقال: ابن تيمية الحراني. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت ٢/ ٢٣٥، ومراصد الاطلاع علىٰ أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسىٰ البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م، ١/ ٣٨٩.

(٣) انظر العقود الدرية ص٥.

۞ رابعاً: أسرته:

نشأ ابن تيمية في أسرة اشتهرت بالعلم، والمكانة؛ **فجدُّه** أبو البركات مجد الدين عبدالسلام بن عبدالله من العلماء الأعلام؛ إذ كان محدِّثاً فقيهًا أصوليًّا نحويًّا[(١)].

قال عنه الذهبي رحمه الله: «كان إماماً كاملاً، معدوم النظير في زمانه، رأساً في الفقه وأصوله، بارعاً في الحديث ومعانيه، وله اليد الطولىٰ في معرفة القراءات والتفسير»[(٢)].

وقد ولد المجد سنة ٥٩٠هـ، وتوفي سنة ٦٥٢هـ[(٣)].

وأما والده شهاب الدين عبدالحليم فقد ولد سنة ٦٢٧هـ، وتوفي سنة ٦٨٢هـ[(٤)].

وقد كان إماماً في التفسير، مبرزاً في المذهب والخلاف، وأصول الدين، والنحو، واللغة، وله معرفة تامة بعلم الحساب والجبر والهندسة، وكان يعرف علوماً كثيرة، وكان حسن الأخلاق لطيفاً[(٥)].

---

(١) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٤/٢٤٩.

(٢) معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار للذهبي، حققه د. بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة بيروت، ٢/٦٥٤.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي خرج أحاديثه وأشرف عليه شعيب الأرناؤوط، ط٤، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة بيروت، ٢٣/ ٢٩٢، ومعرفة القراء الكبار ٢/٦٥٤، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٤٩.

(٤) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٤/٢٤٩.

(٥) انظر عيون التاريخ لابن شاكر الكتبي، تحقيق فيصل السامر، =

أمـا والـدة شيخ الإسـلام ابـن تيمـية فهـي سـت الـنعم بـنت عبدالـرحمن بـن علـي ابـن عـبدوس الحـرانية، عمـرت فـوق السبعين، وتوفيت سنة ٧١٦هـ(١).

هـذا وإن لـشيخ الإسـلام ثلاثـةً مـن الإخـوة اشـتهروا بـالعلم والفضل، وهم:

١ ـ أخـوه لأمـه، وهـو بـدر الـدين أبـو القاسـم محمـد بـن خالـد الحراني، ولد سنة ٦٥٠هـ تقريباً، وتوفي سنة ٧١٧هـ، وكان عالماً فقيهاً إماماً، تولىٰ التدريس عن أخيه تقي الدين(٢).

٢ ـ شـقيقه زيـن الـدين عبدالـرحمن ولـد سـنة ٦٦٣هـ، وتـوفي سنة ٧٤٧هـ، كان زاهداً عابداً، كما كان تاجراً، وقد حَبَس نفسه مع أخيه تقي الدين في الإسكندرية ودمشق، ليخدمه(٣).

٣ ـ شقيقه شرف الدين عبدالله بن عبدالحليم، ولد سنة ٦٦٦ هـ، وتوفي سنة ٧٢٧هـ، لما كان أخوه مسجوناً في القلعة، وكان عالمـاً متبحـراً، وذهـب مـع أخـيه إلـىٰ مـصر، وناظـر خـصومه

= ونبيلة عبدالمنعم محمود، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلـسلة كـتب الـتراث، ١٩٨٤م، ٣٣٩/٢٢، وانظـر ذيـل طـبقات الحنابلة ٣١٠/٢، وشذرات الذهب ٣٧٦/٥.

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير، ١٥٩/١٨.

(٢) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٣٧٠/٢، وشذرات الذهب ٤٥/٦.

(٣) انظر البداية والنهاية ١٧/ ٤٨٠، و٤٨٣، و٥٦/١٨، و٦٧، و١٦٦، و ١٩٣، و٢٩٦، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، دار المعارف العثمانية، الهند، ٤٣٧/٢، وشذرات الذهب ١٥٢/٦.

وحده؛ فانتصر عليهم[١].

وهكذا نشأ شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الجو العلمي الحافل بالمعارف، والتنوع، والشمول؛ فكان له أبلغ الأثر في تكوين شخصيته العلمية، مع ما وهبه اللَّه من مواهبَ وألطافٍ جمَّة، وما كان عليه من النبوغ، وعلو الهمة، وتلقي العلم علىٰ يد الجِلَّة من علماء عصره[٢].

خامساً: صفاته الخَلْقيَّة:

مما قيل في وصفه الخَلْقي: أنه كان رَحِمَهُ اللهُ أبيضَ اللون، أسودَ الرأس واللحية، قليلَ الشيب، شَعره إلىٰ شحمة أذنيه، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، رَبْعَةً من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوريَّ الصوتِ، فصيحاً، سريعاً في القراءة، والكتابة[٣].

سادساً: نشأته الأولى:

نشأ ابن تيمية في كنف والده؛ فتلقىٰ العلم عنه، وعن غيره من شيوخ عصره، بل لم يقتصر علىٰ التلقي عن المعاصرين له، وإنما اتجه إلىٰ مؤلفات من سبقه من العلماء حفظاً، وفهماً، واطلاعاً.

وقد لوحظ عليه منذ الصغرِ النجابةُ، والألمعيةُ، والحافظةُ

(١) انظر العقود الدرية ص٦.

(٢) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/١٣٦ـ١٣٨، ومقدمة كتاب النبوات لابن تيمية، تحقيق د. عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، ٢/٤٩ ـ ٥١.

(٣) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٩٥.

الواعيةُ، والذكاءُ المفرط.

كما لوحظ عليه - أيضاً - سرعة الإدراك، وقوة التأثير، وحضور البديهة، وقوة الحجة.

وقد كان منذ صغره ذا تألُّهٍ، وعفاف، وصيانة، ومحافظة على الوقت، وتنزهٍ عن السفاسف(١).

قال ابن عبدالهادي متحدثاً عن شيوخ ابن تيمية، والكتب التي سمعها وقرأها، والعلوم التي برع فيها في بداية طلبه، وعن فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته قال: «وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ.

وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار، والأجزاء.

ومن مسموعاته: معجم الطبراني الكبير، وعني بالحديث، وقرأ، ونسخ، وتعلم الخط، والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبدالقوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه؛ حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً، حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة؛ فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه»(٢).

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/١٣٨.

(٢) انظر العقود الدرية ص٦.

ثم ذكر ابن عبدالهادي قصة طريفة تدل علىٰ ما ذكره آنفاً؛ حيث قال: «واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلىٰ دمشق، وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له أحمد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه، وهو إلىٰ الآن ما جاء؛ فاقعد عندنا الساعةَ يجيء يَعْبُر علينا ذاهباً إلىٰ الكتاب؛ فجلس الشيخ الحلبي قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط للحلبي: هذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية»(١).

إلىٰ أن قال ابن عبدالهادي: «فناداه الشيخ(٢)، فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح، فنظر فيه، ثم قال: يا ولدي امسح هذا؛ حتىٰ أملي عليك شيئاً تكتبه، ففعل، فأملىٰ عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له: اقرأ هذا، فلم يزد علىٰ أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه، وقال: اسمعه علي، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع، فقال له يا ولدي: امسح هذا، ففعل فأملىٰ عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي؛ ليكونن له شأن عظيم؛ فإن هذا لم ير مثله، أو كما قال»(٣).

فهذه نبذة عن نشأته، وبداية حياته.

---

(١) العقود الدرية ص٦ ـ ٧.
(٢) يعني أن الشيخ الحلبي نادىٰ ابن تيمية.
(٣) العقود الدرية ص٧.

المطلب الثاني

عِلمُه

مرت الإشارة فيما مضىٰ إلىٰ ما كان عليه ابن تيمية من العلم إبان نشأته؛ حيث كان مثار الإعجاب، والإبهار لكل من رآه، أو سمع به.

ولم يزل يترقىٰ في العلم حتىٰ بلغ مكانةً لا يكاد ينالها أحد من معاصريه، أو من جاء بعده؛ حيث برع في شتىٰ فنون العلم، وأصبح محط الأنظار لعلماء عصره.

قال الذهبي متحدثاً عن غزارة علمه: «قرأ القرآن، والفقه، وناظر، واستدل وهو دون البلوغ، وبرع في العلم والتفسير، وأفتىٰ، ودَرَّس وله نحو العشرين سنة، وصنف التصانيف، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه، وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان»[1].

إلىٰ أن قال: «ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسر كتاب اللَّه ـ تعالىٰ ـ مدة سنتين من صدره أيام الجُمَع، وكان يتوقد ذكاءً، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ»[2].

---

(١) العقود الدرية ص٢١، وانظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٨٩ ـ ٣٩١.
(٢) العقود الدرية ص٢١.

ثم تكلم على تفننه، وتنوع معارفه؛ فقال: «ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه.

وأما نقله للفقه، ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الأربعة ـ فليس له فيه نظير.

وأما معرفته بالملل، والنحل، والأصول، والكلام ـ فلا أعلم له فيه نظيراً، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جداً، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب»(١).

وقال: «كان آية في الذكاء، وسرعة الإدراك، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحراً في النقليات، هو في زمانه فريد عصره، علماً وزهداً، وشجاعة وسخاء، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وكثرة تصانيف.

وقرأ وحصل وبرع في الحديث، والفقه، وتأهل للتدريس، والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة، وتقدم في علم التفسير، والأصول، وجميع علوم الإسلام أصولها، وفروعها، ودقها، وجلها سوى علم القراءات»(٢).

إلى أن قال متحدثاً عن تفرده، وإمامته في شتى العلوم: «فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا،

---

(١) المرجع السابق ص٢٢، وانظر الأعلام العلية ص٢٣ ـ ٢٤.

(٢) العقود الدرية ص٢٢.

واستغنىٰ وأفلسوا، وإن سمي المتكلمون فهو فردهم، وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلَّسهم وتَيَّسهم، وهتك أستارهم، وكشف عوارهم»(١).

إلىٰ أن قال: «وله يد طولىٰ في معرفة العربية، والصرف، واللغة، وهو أعظم من أن يصفه كلمي، أو ينبه علىٰ شأوه قلمي؛ فإن سيرته، وعلومه، ومعارفه، ومحنه، وتنقلاته تحتمل أن ترصع في مجلدتين.

وهو بشر من البشر له ذنوب؛ فاللَّه ـ تعالىٰ ـ يغفر له، ويسكنه أعلىٰ جنته؛ فإنه كان رباني الأمة، وفريد الزمان، وحامل لواء الشريعة، وصاحب معضلات المسلمين، وكان رأساً في العلم يُبَالَغ في إطراء قيامه في الحق والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مبالغة ما رأيتها ولا شاهدتها من أحد، ولا لحظتها من فقيه»(٢).

وقال الذهبي في موضع آخر مبيناً تقدمه في علوم الحديث: «وله خبرة تامة بالرجال، وجرحهم، وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، وبالصحيح والسقيم مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته، ولا يقاربه، وهو عجب في استحضاره واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهىٰ في عزوه إلىٰ الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس

---

(١) المرجع السابق ص٢٢.
(٢) المرجع السابق ص٢٢ ـ ٢٣.

بحديث، ولكن الإحاطة للَّه، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي»[١].

ثم بيّن إمامته في التفسير، فقال: «وأما التفسير فَمُسَلَّم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل بها علىٰ المسألة قوة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحير فيه.

ولفرط إمامته في التفسير، وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويوهي أقوالاً عديدة، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث»[٢].

وقال الحافظ البزار رَحِمَهُ اللَّهُ عن علم ابن تيمية، مستهلاً حديثه عنه ببيان براعته في علوم القرآن: «أما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد، واستنباطه لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله، وما أودعه اللَّه - تعالىٰ - فيه من عجائبه، وفنون حكمه، وغرائب نوادره، وباهر فصاحته، وظاهر ملاحته؛ فإنه فيه الغايةَ التي يُنتهىٰ إليها، والنهاية التي يُعَوّل عليها.

ولقد كان إذا قُرئ في مجلسه آيات من القرآن يشرع في تفسيرها، فينقضي المجلس بجملته، والدرس برُمَّتِه، وهو في تفسير بعض آية منها»[٣].

---

(١) المرجع السابق ص٢٣.
(٢) المرجع السابق ص٢٣.
(٣) الأعلام العلية ص٢٢.

وقال البزار واصفاً مقدار وقت مجلسه للدرس: «وكان مجلسه مُقَدَّراً بقدر ربع النهار، يفعل ذلك بديهة من غير أن يكون له قارئ معين يقرأ له شيئاً معيناً يبيِّته؛ ليستعد لتفسيره.

بل كان كل من حضر يقرأ ما تيسر له، ويأخذ هو في القول على تفسيره.

وكان غالباً لا يقطع إلا ويفهم السامعون أنه لولا مضي الزمن المعتاد لأورد أشياء أخر في معنىٰ ما هو فيه من التفسير، لكن يقطع؛ نظراً في مصالح الحاضرين.

ولقد أملىٰ في تفسير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، مجلداً كبيراً، وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] نحو خمس وثلاثين كراساً»[1].

ثم بيَّن البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ **علو كعب ابن تيمية في السنة، والآثار، فقال:** «وأما معرفته، وبصره بسنة رسول اللّه ﷺ وأقواله، وأفعاله، وقضاياه، ووقائعه، وغزواته، ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، وبقية المنقول عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في أقوالهم، وأفعالهم، وفتاويهم، وأحوالهم، وأحوال مجاهداتهم في دين اللّه، وما خصوا به من بين الأمة ـ فإنه كان رضي الله عنه من أضبط الناس لذلك، وأعرفهم فيه، وأسرعهم استحضاراً لما يريده منه؛ فإنه قل أن ذكر حديثاً في مصنف أو فتوىٰ، أو

---

(١) الأعلام العلية ص٢٣.

استشهد به، أو استدل به إلا وعزاه في أي دواوين الإسلام هو، ومن أي قسم من الصحيح، أو الحسن، أو غيرهما، وذكر اسم راويه من الصحابة.

وقلَّ أن يسأل عن أثر إلا وبيَّن في الحال حاله، وحال أمره، وذاكره»(١).

ويواصل البزار حديثه في هذا السياق ذاكراً بعض الأمثلة على ذلك؛ حيث يقول: «حكى من يوثق بنقله أنه كان يوماً بمجلس، ومحدثٌ يقرأ عليه بعض الكتب الحديثية، وكان سريع القراءة، فعارضه الشيخ في اسم رجل عن سند الحديث، وقد ذكره القارئ بسرعة، فذكر الشيخ أن اسمه فلان بخلاف ما قرأ، فاعتبروه، فوجدوه كما قال الشيخ.

ولقد سئل يوماً عن الحديث: (**لعن اللّه المحلِّل والمحلَّل له**)(٢) فلم يزل يورد فيه وعليه حتى بلغ كلامه فيه مجلداً كبيراً»(٣).

وقال ابن عبدالهادي متحدثاً عن تفننه في شتى العلوم: «قال العلامة كمال الدين ابن الزملكاني(٤): كان إذا سئل عن فن من

---

(١) الأعلام العلية ص٢٣ ـ ٢٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٤٤٨، ٤٦٢، والدارمي (٢٣٠٥) والترمذي (١١٢٠) وقال: «حسن صحيح».

(٣) الأعلام العلية ص٣٣.

(٤) هو كمال الدين محمد بن علي بن عبدالواحد بن الزملكاني، شيخ الشافعية في زمانه في الشام ٦٦٦ ـ ٧٢٧هـ.

العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك»[١].

إلىٰ أن يقول مبيناً براعته في المناظرة، وقوة الحجة: «ولا يُعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع، أم غيرها إلا فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه».

وكانت له اليد الطولىٰ في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم والتبيين»[٢].

ثم يضرب أمثلة علىٰ ذلك، فيقول: «ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرىٰ فيها اختلاف بين المفتين في العصر، فكتب فيها مجلدة كبيرة.

وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود، فكتب فيها مجلدة كبيرة.

ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة، ولا طوَّل بتخليط الكلام، والدخول في شيء والخروج من شيء، وأتىٰ في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام، والخواطر، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد علىٰ وجهها»[٣].

---

(١) العقود الدرية ص٩.
(٢) العقود الدرية ص٩.
(٣) العقود الدرية ص١٠.

وقال الأستاذ محمد كرد علي[١] مبيناً تفرد ابن تيمية، ومعرفته بسائر المذاهب، ومدىٰ مخالفتها للشريعة: «ولو ادعينا أنه لم يأت عالم[٢] يعرف ما طرأ علىٰ الدين، ومذاهب أهله فيه ساعة ساعة، ويوماً يوماً ما قدر أحد علىٰ ردِّ دعوانا.

رد علىٰ المعتزلة، وعلىٰ الجهمية، وعلىٰ الشيعة، وعلىٰ الفلاسفة، وعلىٰ غيرهم، فجاء بالعجيب من الآراء التي استخرجها من روح الشريعة، واستنبطها ببعد نظره، وشدة بحثه، فما كتب لإمام من الأئمة في عصره، وبعد عصره أن يناقضه، ويرد أقواله»[٣].

وقال الشيخ محمد المكي بن عزوز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤] في معرض رسالة

---

(١) هو الأستاذ العلامة محمد بن عبدالرزاق بن محمد كرد علي، المولود سنة ١٢٩٣هـ، والمتوفىٰ سنة ١٣٧٢هـ، ومؤسس ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، وصاحب مجلة المقتبس، ومؤلف: خطط الشام، وأمراء البيان، وكنوز الأجداد، وغيرها. انظر الأعلام للزركلي ٦/٢٠٢ ـ ٢٠٣، ومحمد كرد علي مؤسس المجمع العلمي العربي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الحجاز، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

(٢) كأن في الكلام سقطاً وربما كان: لم يأت عالم مثله، أو بعده...

(٣) كنوز الأجداد لمحمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠هـ، ص٣٦٥.

(٤) هو علامة المنقول والمعقول الشيخ محمد المكي بن عزوز التونسي، المولود سنة ١٣٧٠هـ، والمتوفىٰ سنة ١٣٣٤هـ.
المقرئ، الفقيه، الفلكي، المجود، الأصولي، الفرضي، الأديب، الشاعر الذي اهتدىٰ إلىٰ مذهب السلف في آخر عمره، صاحب =

أرسلها إلىٰ الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «وما التوحيد إلا توحيد السلف الصالح، وأما غيره فأشبه بالضلالات، وزلقات الهفوات»[(١)].

ثم تكلم علىٰ حال العلم وأهله في عصره، وما وصلت إليه الأمور في كثير من بلاد المسلمين.

ثم بين الاعتقاد الصحيح وعما يؤخذ، فقال: «ثم يترقىٰ بطريقة السلف، ولا توجد حقيقتهما إلا من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحبه الذي هو نسخة صحيحة لا تحريف فيها: الشمس ابن القيم؛ فيعتقد ما هنالك بأدلة متينة، وإيمانٍ راسخ، فيصبح من الفرقة الناجية التي عرفها النبي ﷺ بأنهم علىٰ ما كان عليه المصطفىٰ ﷺ وأصحابه»[(٢)].

وكما كان الشيخ ابن عزوز معظماً لابن تيمية كذلك كان ابن أخته العلامة الشيخ محمد الخضر حسين (١٢٩٣ ـ ١٣٧٧هـ) فلقد تأثر الشيخ الخضر بابن تيمية تأثراً بالغاً، خصوصاً في ردوده؛ حيث أكثَرَ من النقل عنه، بل لم ينقل في مؤلفاته عن عالم آخر كنقله عنه، ويليه في كثرة النقل عنه نقله عن تلميذه ابن القيم.

كما أفاد الشيخ الخضر من طريقة ابن تيمية في الرد؛ حيث

= التصانيف البديعة، وهو خال الشيخ العلامة محمد الخضر حسين، وشيخه، وشيخ مشايخه. انظر ترجمته وافية في كتاب رسائل بن عزوز، جمع وتحقيق علي الرضا التونسي، ط١، ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤م، ص٦ فما بعدها.

(١) رسائل ابن عزوز ص١٦.

(٢) المرجع السابق ص١٧.

استعمل كلمة (نقض) في رده علىٰ علي عبدالرازق؛ حيث سمىٰ ذلك الرد (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وفي رده علىٰ طه حسين؛ حيث سمىٰ ذلك الرد (نقض كتاب في الشعر الجاهلي).

ولعله أفاد ذلك من ابن تيمية في استعماله هذه الكلمة في كتابه (نقض المنطق) وكتاب (نقض أساس التأسيس والتقديس).

فكانت طريقة ابن تيمية هي نقض الشيء من أساسه وهكذا كانت طريقة الخضر.

ومن تأثره به كثرة رجوعه إليه؛ فهو أكثر من رجع إليه في ردوده.

وقد رجع في كتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) إلىٰ ابن تيمية في أكثر من أربعة عشر موضعاً[١].

وأكثر ما يرجع إليه من كتب ابن تيمية كتابه العظيم (منهاج السنة النبوية في الرد علىٰ الشيعة القدرية).

وكان يعظم ابن تيمية كثيراً، ويصفه بـ: شيخ الإسلام[٢]، والحافظ[٣].

---

(١) انظر نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص٢٦ و٦٥ و٧٩ و٨١ و١٣٢ و١٣٦ و١٤٦ و١٥٢ و١٩٩ و٢٤١ و٢٥٨ و٢٧١ و٢٨١ و٢٩٠ ، وانظر نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص٤٩، وبلاغة القرآن ص١٦، ودراسات في الشريعة الإسلامية ص١٠٥.

(٢) انظر نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص٢٦ و١٥٢ و١٩٩ و٢٤١ و ٢٥٨ و٢٧١ و٢٨١ و٢٩٠.

(٣) انظر المرجع السابق ص١٣٢ و١٤٦.

بل إذا أطلق لقب شيخ الإسلام فإنما يريد به ابن تيمية[١].

أما طريقة العزو إليه فتارة يقول: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة»[٢].

وتارة يقول: «قال شيخ الإسلام في منهاج السنة»[٣].

وتارة يقول: «وعلىٰ هذا جرىٰ شيخ الإسلام في منهاج السنة»[٤].

وتارة يذكره دون أن يحيل علىٰ كتاب كما في قوله: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية»[٥].

وتارة يقول: «قال الحافظ ابن تيمية»[٦].

وتارة بمثل قوله: «وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن الجوزي قد نقدا صاحب الأغاني...»[٧].

وقال مرة: «وقال الشيخ ابن تيمية ـ وهو من فقهاء الحنابلة ـ في الرسالة الملقبة بـ (السبعينية)...»[٨].

ومن شدة إعجابه بابن تيمية أنه يعد كتابه (الرد علىٰ

---

(١) انظر المرجع السابق ص٢٩٠.
(٢) انظر المرجع السابق ص١٥٢ و١٩٩ و٢٤١.
(٣) انظر المرجع السابق ص٢٥٨.
(٤) انظر المرجع السابق ص٢٨١.
(٥) انظر المرجع السابق ص٢٧١.
(٦) المرجع السابق ص٣٢ و١٤٦.
(٧) انظر نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص٤٩.
(٨) بلاغة القرآن ص١٦.

المنطقيين)[١] أحسن كتب المنطق على الإطلاق[٢].

وكان منافحاً عنه، معتداً بأقواله، وأحكامه، واختياراته.

ومن شواهد ذلك ما جاء في بحث له عنوانه: «مَنْ وثِّق من علماء العربية ومَنْ طُعِن فيه». قال رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يقدح خطأ رأي العالم في الثقة بروايته؛ فابن تيمية - مثلاً - يصحح رواية سيبويه، ويخطئه في التطبيق، وقد رُوي: أن أبا حيان كان رفيقاً لابن تيمية، فَرَدَّ ابن تيمية على سيبويه، فقال له أبو حيان: أترد على سيبويه؟ فقال: هل سيبويه نبي النحو؟ لقد أخطأ في ثلاثين موضعاً من كتابه، فهجره أبو حيان.

وكان شأن أبي حيان أن يقول له: بيِّن لنا الخطأ الذي وقع في الثلاثين موضعاً، ويردها، أو يسلِّم بها، ولا يكون قول ابن تيمية وحده سبباً لهجره»[٣].

---

(١) انظر الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع ونشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط٢، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(٢) انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص١٦٠.

(٣) دراسات في اللغة ص٢٢، ولا ريب أن إعجابه بابن تيمية، ووروده عنه - محل غرابة وإعجاب؛ إذ كيف يكون كذلك وهو في بيئة لا تُعنىٰ كثيراً بابن تيمية، بل ربما يوجد في ذلك العصر من يناصبه، ويناصب منهج السلفِ العداءَ؟!
فيخرج في ذلك الوقت عالم كالشيخ الخضر، ويكون من شأنه مع ابن تيمية ما يكون!.
ولعل السر في ذلك - والله أعلم - أن رحلة الشيخ الخضر إلى المشرق مَكَّنته من الاطلاع على تراث ابن تيمية خصوصاً مرحلته السورية، =

والحقيقة أن الكلام علىٰ تفنن ابن تيمية، وتفرده في سائر العلوم، وبيان منزلته عند علماء المسلمين في القديم.

والحديث يطول، والمقام لا يتسع للتفصيل، وسيأتي مزيد بيان لذلك في المبحثين: الثالث، والرابع.

= وقيامه مقامَ علامة الشام القاسمي في التعليم بعد وفاته ١٣٣٢هـ.
وكان القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ من أشد الناس عناية بتراث ابن تيمية وابن القيم.
وسبب ثانٍ ألا وهو تأثير خاله العلامة محمد المكي بن عزوز الذي اهتدىٰ إلىٰ منهج السلف الصالح في الاعتقاد، وكان محبًّا لابن تيمية وتلميذه ابن القيم.
وسبب ثالث ألا وهو ما يتمتع به الشيخ الخضر من روح الإنصاف، وإيثار الحق، والبعد عن التعصب.



المبحث الثاني

أحواله، وأخلاقه، ووفاته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أحواله

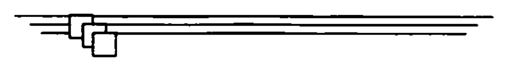
المطلب الثاني: أخلاقه

المطلب الثالث: وفاته



المطلب الأول

أحـوالـه



لقد كانت أحوال ابن تيمية - وخصوصاً الإيمانية منها - مُذَكِّرة بأحوال أكابر سلف الأمة؛ من حبٍّ للّه، وخوفٍ منه، ورجاءٍ له، وتوكل عليه، وقوة إقبال علىٰ عبادته، والتقرب إليه؛ حتىٰ صارت تلك الأحوال مضرب المثل في ذلك.

قال تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مُبيِّناً عن شيء من عبادته: «وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلىٰ الفجر، ثم جلس يذكر اللّه - تعالىٰ - إلىٰ قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدَّ سقطت قوتي، أو كلاماً قريباً من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلاماً هذا معناه»[1].

وقال البزار رَحِمَهُ اللَّهُ متحدثاً عن عبادته، وأحواله فيها: «أما عن تعبده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه قلَّ أن سُمعَ بمثله؛ لأنه قد قطع جُلَّ وقته وزمانه فيه، حتىٰ إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن اللّه - تعالىٰ - ما

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب للإمام ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق محمد عبدالرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص٦٣.

يراد له لا من أهل، ولا من مال.

وكان في ليله متفرداً عن الناس كلهم، خالياً بربه - عز وجل - ضارعاً، مواظباً على تلاوة القرآن العظيم، مكرراً لأنواع التعبدات الليلية والنهارية»[١].

وقال: «وكان إذا ذهب الليل، وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر يأتي بسنتها قبل إتيانه إليهم.

وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تنخلع القلوب؛ لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام.

فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه، حتى يميله يمنة ويسرة»[٢].

وقال الذهبي رحمه الله في معرض كلامه عن ابن تيمية متحدثاً عن عبادته، وأحواله الإيمانية: «... مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكرة، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله»[٣].

إلى أن قال: «فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية»[٤].

أما عن خشوعه، ومسكنته، وتذلله، وافتقاره إلى الله - عز وجل -

---

(١) الأعلام العلية ص٣٨.
(٢) الأعلام العلية ص٣٨.
(٣) العقود الدرية ص١٠٩.
(٤) العقود الدرية ص١٠٩.

فكان يُقضىٰ منه العجب، وقد تقدم شيء من ذلك.

يقول تلميذه ابن القيم في معرض حديث له في منزلة الخشوع في كتابه مدارج السالكين: «فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة، والفاقة والذل، وأنه لا شيء، وأنه ممن لم يَصِحَّ له بعدُ الإسلام حتىٰ يدَّعي الشرف فيه»[1].

ثم ضرب لذلك مثلاً بابن تيمية؛ فقال: «ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس اللَّه روحه ـ من ذلك أمراً لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيراً: مالي شيء، ولا مني شيء، ولا فيَّ شيء، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المكدِّي وابن المكدِّي ... وهٰكذا كان أبي وجدِّي

وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: واللَّه إني إلىٰ الآن أجدِّد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً»[2].

إلىٰ أن قال ابن القيم: «وبعث إليَّ في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه، وعلىٰ ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

أنا الفقير إلىٰ رب البريات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي

أنا الظلومُ لنفسي وهي ظالمتي ... والخيرُ إن يأتِنا من عنده ياتي

لا أستطيع لنفسي جَلب منفعةٍ ... ولا عن النفس لي دفع المضراتِ

---

(١) مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق وتعليق المعتصم باللَّه البغدادي، توزيع دار النفائس، الرياض ط١، ١٤١٠هـ، ١/ ٥٢٠.

(٢) المرجع السابق ١/ ٥٣٠.

وليس لي دونه ربٌّ يدبرني ... ولا شفيعٌ إذا حاطت خطيئاتي
إلا بإذن من الرَّحمٰن خالقِنا ... إلىٰ الشفيع كما قد جا في الآياتِ
ولست أملك شيئاً دونه أبداً ... ولا شريكٌ أنا في بعض ذراتِ
ولا ظهير له كي يستعين به ... كما يكون لأرباب الولاياتِ
والفقر لي وصفُ ذاتٍ لازمٌ أبداً ... كما الغنىٰ أبداً وصفٌ له ذاتي
وهذه الحالُ حال الخلقِ أجمعهم ... وكلُّهم عنده عبد له آتي
فمن بغىٰ مطلباً من غير خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمد للَّه ملءُ الكون أجمعه ... ما كان منه وما مِنْ بَعْدُ قد ياتي[1]

ومن أحواله التي كان يتصف بها الفراسة[2] الصادقة، فقلد كان له قِدْحٌ مُعَلَّىٰ، ونصيب أوفىٰ من الفراسة، وله أخبار في ذلك يطول ذكرها.

يقول تلميذه ابن القيم متحدثاً عن فراسة ابن تيمية: «ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أموراً عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي

(١) مدارج السالكين ١/ ٥٢٠ ـ ٥٢١.
(٢) الفراسة تعني التأمل والتثبت، وصحة النظر.
وسببها ـ كما يقول ابن القيم ـ نور يقذفه اللَّه في قلب عبده، يفرق بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب.
وحقيقتها أنها خاطر يهجم علىٰ القلب ينفي ما يضاده، يثب علىٰ القلب وثوب الأسد علىٰ الفريسة.
وهذه الفراسة علىٰ حسب قوة الإيمان؛ فمن كان أقوىٰ إيماناً فهو أحدُّ فراسة. انظر مدارج السالكين ٢/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤.

سفراً ضخماً»[1].

ثم يضرب لذلك أمثلة، فيقول: «أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تُكْسَر، وأن دمشق لا يكون بها قَتْلٌ عامّ ولا سَبْي عام، وأن كَلَب الجيش، وحِدَّته في الأموال، وهذا قبل أن يَهِمَّ التتار بالحركة.

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدَّائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم علىٰ ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء اللَّه، فيقول: إن شاء اللَّه تحقيقاً لا تعليقاً»[2].

إلىٰ أن قال ابن القيم: «وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا علي، قلت: لا تكثروا، كتب اللَّه ـ تعالىٰ ـ في اللوح المحفوظ: أنهم مهزومون في هذه الكَرَّة، وأن النصر لجيوش الإسلام، قال: وأطعمتُ بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلىٰ لقاء العدو.

وكانت فِراستُه الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مِثْلَ المطر»[3].

ويواصل ابن القيم كلامه علىٰ فراسة ابن تيمية، فيقول:

---

(١) مدارج السالكين ٢/٤٥٨.
(٢) مدارج السالكين ٢/٤٥٨.
(٣) مدارج السالكين٢/٤٥٨.

«ولما طُلبَ إلىٰ الديار المصرية، وأريد قتله ـ بعدما أنضجت له القدور، وقُلِّبت له الأمور ـ اجتمع أصحابه لوداعه، وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون علىٰ قتلك، فقال: واللّه لا يَصِلُون إلىٰ ذلك أبداً، قالوا: أَفَتُحْبَس؟ قال: نعم، ويطول حَبْسي، ثم أخرج، وأتكلم بالسنة علىٰ رؤوس الناس، سمعته يقول ذلك»[١].

إلىٰ أن قال ابن القيم: «ولما تولىٰ عدوه الملقب بالجاشنكير المُلْك أخبروه بذلك، وقالوا: الآن بلغ مراده منك، فسجد للّه شكراً وأطال، فقيل له: ما سبب هذه السجدة؟ فقال: هذا بداية ذُله، ومفارقة عزه من الآن، وقرب زوال أمره، فقيل: متىٰ هذا؟ فقال: لا تربط خيول الجند علىٰ القرط حتىٰ تُغلب دولته، فوقع الأمر مثل ما أخبر به، سمعت ذلك منه»[٢].

ثم يبين ابن القيم جانباً من جوانب فراسة ابن تيمية، فيقول: «وقال مرة: يدخل عليَّ أصحابي وغيرهم، فأرىٰ في وُجُوههم وأعينهم أموراً لا أذكرُها لهم.

فقلت له ـ أو غيري ـ: لو أخبرتهم؟ فقال: أتريدون أن أكون معرّفاً كمعرف الولاة؟»[٣].

ويقول ـ أيضاً ـ: «وقلت له يوماً: لو عاملتنا بذلك لكان

---

(١) مدارج السالكين ٢/٤٥٨.
(٢) المرجع السابق ٢/٤٥٨ ـ ٤٥٩.
(٣) المرجع السابق ٢/٤٥٩.

أدعىٰ إلىٰ الاستقامة والصلاح، فقال: لا تصبرون معي علىٰ ذلك جمعة، أو قال: شهراً.

وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه، ولم ينطق به لساني.

وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل، ولم يعين أوقاتها، وقد رأيت بعضها، وأنا أنتظر بقيتها.

وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته، والله أعلم»(١).

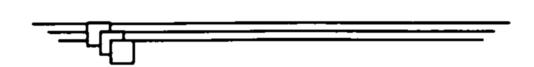
فهذا نزر يسير عن أحواله، والمقام ليس مقام تفصيل.



(١) المرجع السابق ٢/٤٥٩.

المطلب الثاني

أخلاقه



لقد جُبل ابن تيمية علىٰ كريم الخلال، وحميد الخصال، وكان معروفاً عند أهل زمانه بمكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، ومحاسن الشيم، وجزالة المروءة.

يشهد له بذلك كل منصف عاقل؛ فكان متصفًا بالحلم، والسماحة، والبر، والكرم المنقطع النظير، والعدل، والإنصاف، والوفاء، وثبات الود، والتواضع، وعزة النفس، وإباءة الضيم، والشجاعة النادرة، والهيبة الوافرة، ونحو ذلك من الأخلاق العظيمة.

بل إنه قد كان مجدداً لما اندرس من هذه الخلال، فكان آيةً، ومضرب مثلٍ فيها.

يقول ابن القيم في معرض حديث له عن حسن الخلق، والعفو، ومقابلة الإساءة بالإحسان: «وما رأيت أحداً أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ـ قدَّس اللّه روحه ـ.

وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه.

وما رأيته يدعو علىٰ أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوةً وأذىً له،

فنهرني، وتنكر لي، واسترجع، ثم قام من فوره إلىٰ بيت أهله، فعزَّاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجونه فيه إلىٰ مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا الكلام، فسرُّوا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه اللّٰه ورضي عنه»[١].

وقال ابن عبدالهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً ما كان عليه ابن تيمية من التسامح والعفو، وسلامة الصدر، والبعد عن التشفي والانتقام، قال: «وسمعت الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر أن السلطان لما جلس بالشباك أخرج من جيبه فتاوىٰ لبعض الحاضرين في قتله[٢]، واستفتاه[٣] في قتل بعضهم.

قال[٤]: ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقاً شديداً عليهم؛ لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير؛ فشرعت في مدحهم، والثناء عليهم، وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك.

أما أنا فهم في حل من حقي، ومن جهتي، وسكَّنت ما عنده عليهم.

---

(١) مدارج السالكين ٢/٣٢٨ـ ٣٢٩.

(٢) يعني ببعض الحاضرين: بعض العلماء الذين ناصبوا ابن تيمية العداء، وأفتوا بقتله.

(٣) يعني أن السلطان استفتىٰ ابن تيمية بقتل هؤلاء؛ ظناً منه أن ابن تيمية سيشفي غيظه منهم؛ بسبب أذيتهم له، وإفتائهم بقتله.

(٤) القائل هو ابن تيمية.

قال: فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف[١] قاضي المالكية يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقىٰ من ابن تيمية؛ لم نُبْقِ ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا»[٢].

إلىٰ أن قال ابن عبدالهادي: «ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلىٰ القاهرة، وسكن بالقرب من مشهد الحسين، وعاد إلىٰ بث العلم، ونشره، والخلق يشتغلون عليه، ويقرؤون، ويستفتونه، ويجيبهم بالكلامِ، والكتابةِ، والأمراءُ، والأكابرُ، والناسُ يترددون إليه، وفيهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع.

فقال: قد جعلت الكل في حل مما جرىٰ»[٣].

ومن أخلاقه التي كان يتصف بها: الزهدُ، والتواضعُ، والكرم، قال البزار في ذلك: «ولقد اتفق كل من رآه خصوصاً من أطال ملازمته أنه ما رأىٰ مثله في الزهد في الدنيا، حتىٰ لقد صار ذلك مشهوراً؛ بحيث قد استقر في قلب القريب والبعيد من كل من سمع بصفاته علىٰ وجهها.

---

(١) هو القاضي زين الدين علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم ابن خلف النويري المالكي، ولد سنة ٦٣٤هـ.
قال عنه ابن كثير: «سمع الحديث، واشتغل، وحصَّل، وولي الحكم بعد ابن شاس سنة خمس وثمانين، وطالت أيامه، وكان غزير المروءة والاحتمال والإحسان إلىٰ الفقهاء والشهود، ومن يقصده. توفي ليلة الأربعاء حادي عشر جمادىٰ الآخرة ودفن بسفح المقطم بمصر» انظر البداية والنهاية ١٨/ ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) العقود الدرية ص٢٢١، وانظر البداية والنهاية ١٨/ ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) العقود الدرية ص٢٢١.

بل لو سُئل عامي من أهل بلد بعيد من الشيخ: من كان أزهد أهل هذا العصر، وأكملهم في رفض فضول الدنيا، وأحرصهم علىٰ طلب الآخرة؟ لقال: ما سمعت بمثل ابن تيمية ـ رحمة اللَّه عليه ـ »[١].

وقال عن تواضعه: «أما تواضعه فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك؛ كان يتواضع للكبير، والصغير، والجليل، والحقير، والغني الصالح، والفقير.

وكان يدني الفقير الصالح، ويكرمه، ويؤنسه، ويباسطه بحديثه المُسْتَحْلَىٰ زيادة علىٰ مثله من الأغنياء، حتىٰ إنه ربما خدمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته؛ جبراً لقلبه، وتقرباً بذلك إلىٰ ربه»[٢].

إلىٰ أن يقول مبيناً سعة صدره علىٰ السائلين والمستفتين: «وكان لا يسأم ممن يستفتيه، أو يسأله، بل يقبل عليه ببشاشة وجه، ولين عريكة، ويقف معه حتىٰ يكون هو الذي يفارقه كبيراً أو صغيراً، رجلاً أو امرأة، حُرّاً أو عبداً، عالماً أو عاميّاً، حاضراً أو بادياً.

ولا يجبهه، ولا يحرجه، ولا يُنفِّره بكلام يوحشه، بل يجيبه، ويفهمه، ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط»[٣].

---

(١) الأعلام العلية ص٤٧ ـ ٤٨.
(٢) الأعلام العلية ص٥٢.
(٣) الأعلام العلية ص٥٢.

وقال عن كرمه: «كان رَحِمَهُ اللهُ مجبولاً علىٰ الكرم، لا يتطبَّعه ولا يتصنعه؛ بل هو له سجية، وقد ذكرت فيما تقدم أنه ما شد علىٰ دينار ولا درهم قط، بل كان مَهْمَا قَدِر علىٰ شيء من ذلك يجود به كله»(١).

ثم ذكر نوعاً من جوده، **فقال:** «وكان لا يرد من يسأله شيئاً يقدر عليه من دراهم، ولا دنانير، ولا ثياب، ولا كتب، ولا غير ذلك، بل ربما كان يسأله بعض الفقراء شيئاً من النفقة، فإن كان حينئذ متعذراً لا يَدَعُه يذهب بلا شيء، بل كان يعمد إلىٰ شيء من لباسه؛ فيدفعه إليه، وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله»(٢).

إلىٰ أن قال متحدثاً عن كرمه، وجوده بالكتب: «وحدثني من أثق به: أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كان لا يرد أحداً يسأله شيئاً كَتَبَهُ، بل يأمره أن يأخذ هو بنفسه ما يشاء منها»(٣).

ثم ذكر بعض أخباره في ذلك، فقال: «وأُخْبِرْنا أنه جاءه يوماً إنسان يسأله كتاباً ينتفع به، فأمره أن يأخذ كتاباً يختاره، فرأىٰ ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفاً قد اشتُري بدراهمَ كثيرةٍ، فأخذه ومضىٰ، فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك، فقال: أيحسن بي أن أمنعه بعدما سأله؟ دعه فلينتفع به.

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ينكر إنكاراً شديداً علىٰ من يُسأل شيئاً من

---

(١) الأعلام العلية ص٦٥.
(٢) الأعلام العلية ص٦٥.
(٣) الأعلام العلية ص ٦٨.

كتب العلم ويمنعها من السائل، ويقول: ما ينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه»[(١)].

وقال الذهبي عن كرمه ومروءته: «وما رأيت في العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم، لا يذكره، ولا أظنه يدور في ذهنه.

وفيه مروءة، وقيام مع أصحابه، وسعي في مصالحهم، وهو فقير لا مال له»[(٢)].

أما عن شجاعته، وقوة قلبه، ورباطة جأشه فحدث ولا حرج.

قال ابن القيم رحمه الله عن شجاعة ابن تيمية وقوة قلبه: «وعلم اللَّه ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس، والتهديد، والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسَرِّهم نفساً، تلوح نضرة النعيم علىٰ وجهه»[(٣)].

إلىٰ أن قال: «وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض ـ أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمعَ كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً، وقوة، ويقيناً، وطمأنينة.

---

(١) الأعلام العلية ص٦٨.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٩٥.
(٣) الوابل الصيب ص٧٠.

فسبحان من أَشْهَد عباده جَنَّتهُ قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من رَوْحها، ونسيمها، وطيبها ما استفرغ قُواهم لطلبها، والمسابقة إليها»[١].

وقال الذهبي: «وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه الأبطال»[٢].

وقال البزار رَحِمَهُ اللَّهُ عن شجاعته: «كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشجع الناس، وأقواهم قلباً.

ما رأيت أحداً أثبت جأشاً منه، ولا أعظم عناءً في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل اللَّه بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في اللَّه لومة لائم»[٣].

إلىٰ أن قال واصفاً حاله في ميدان القتال: «وأخبَرَ غيرُ واحدٍ أن الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم واقيتَهُم، وقطبَ ثباتهم، إنْ رأىٰ من بعضهم هلعاً، أو رِقَّةً، أو جبانةً ـ شَجَّعَه، وثبَّته، وبشره، ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وبيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال اللَّه عليهم السكينة»[٤].

إلىٰ أن قال: «وكان إذا ركب الخيل يتَحَنَّك[٥]، ويجول في

---

(١) الوابل الصيب ص٧٠.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٩٥.
(٣) الأعلام العلية ص٦٩.
(٤) الأعلام العلية ص٦٩ ـ ٧٠.
(٥) التحنك: التَّلَحِّي: وهو أن تدير العمامة من تحت الحنك. انظر =

العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، ويكبر تكبيراً أنكىٰ في العدو من كثير من الفتك بهم، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت.

وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكة أموراً عظيمة يعجز الواصف عن وصفها.

قالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله، ومشورته، وحسن نظره»[١].

وقال الدكتور محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن صبره، واحتسابه في معرض كلام له عما جرىٰ له من الفتن بعد الفتوىٰ الحموية عام ٦٩٨هـ، قال: «ولم يزل ابن تيمية بعد ذلك ينتقل من محنة إلىٰ محنة، وهو صابر محتمل، لا يبالي ما يلاقي من الأذىٰ في سبيل دعوته، ولا يتبرم بغياهب السجون التي قضىٰ فيها معظم أيام عمره إلىٰ أن وافاه أجله وهو محبوس بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ»[٢].

هذه بعض الإشارات إلىٰ أخلاقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

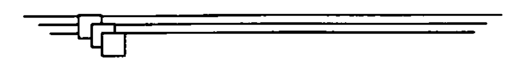
= لسان العرب ١٠/٤١٧.

(١) الأعلام العلية ص٧٠.

(٢) باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات، تأليف: د. محمد خليل هراس، المطبعة اليوسفية بطنطا، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م، ص٢٦.

المطلب الثالث

وفاته



توفي شيخ الإسلام ابن تيمية بعد حياة حافلة بالعلم، والتعليم، والتأليف، والدعوة، والجهاد في محبسه بقلعة دمشق، وذلك في الثلث الأخير من ليلة الاثنين المسفرِ صباحُها عن عشرين من ذي الحجة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة.

وكان مرضه سبعة عشر يوماً، وصَلَّىٰ عليه بباب القلعة الشيخُ محمد بن تمام، ثم صلوا عليه في الجامع الأموي، ثم دفن في مقابر الصوفية إلىٰ جانب أخيه الشيخ شرف الزين.

وقد امتلأ الجامع وقت الصلاة أكثر من يوم الجمعة، وحضرت الأمراء، والحُجَّاب، وحملوه علىٰ رؤوسهم، وخرجوا به من باب الفرج، وامتد الخلق إلىٰ مقابر الصوفية(١).

يقول ابن عبدالهادي في معرض حديث له عن آخر ما جرىٰ لابن تيمية في سجنه الأخير: «ثم إن الشيخ ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ بقي مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً، ثم توفي إلىٰ رحمة اللَّه ورضوانه، وما برح في هذه المدة مكباً علىٰ العبادة،

---

(١) انظر تقريظ العلامة بدر الدين العيني للرد الوافر لابن ناصر الدين ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٥٦٣.

والتلاوة، وتصنيف الكتب، والرد علىٰ المخالفين.

وكتب علىٰ تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة، تشتمل علىٰ نفائس جليلة، ونكت دقيقة، ومعان لطيفة، وبين في ذلك مواضع كثيرة أشكلت علىٰ خلق من علماء أهل التفسير(١).

وكتب في المسألة التي حُبس بسببها عدة مجلدات:

منها: كتاب في الرد علىٰ ابن الإخنائي قاضي المالكية بمصر، تُعْرَف بالإخنائية، ومنها كتاب كبير حافل في الرد علىٰ بعض قضاة الشافعية، وأشياء كثيرة في هذا المعنىٰ أيضاً»(٢).

ثم بين ما لقيه ابن تيمية في سجنه من إكرام، وتعظيم، فقال: «وما زال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المدة معظماً مكرماً، يكرمه نقيب القلعة، ونائبها إكراماً كثيراً، ويستعرضان حوائجه، ويبالغان في قضائها.

وكان ما صنفه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده، وكتبه

---

(١) يشير بذلك إلىٰ كتابه (تفسير آيات أشكلت علىٰ كثير من العلماء حتىٰ لا يوجد في طائفة من كتب في التفسير فيها القول الصواب، بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ) وهذا الكتاب من آخر كتب ابن تيمية، وقد كتبه في سجنه الأخير، وعنوان الكتاب أطول عنوانات كتبه، وقد خرج هذا الكتاب في مجلدين في رسالة علمية نال بها الباحث عبدالعزيز بن محمد الخليفة درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد طبعته مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٢) العقود الدرية ص٢٨٤.

بعض أصحابه، واشتهر، وظهر»[١].

وأشار ابن عبدالهادي إلىٰ ورود مرسوم السلطان بإخراج جميع ما عند ابن تيمية، فقال: «فلما كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده كله، ولم يبق عنده كتاب، ولا ورقة، ولا دواة، ولا قلم، وكان بعد ذلك إذا كتب ورقة إلىٰ بعض أصحابه يكتبها بفحم، وقد رأيت أوراقاً عدة بعثها إلىٰ أصحابه، وبعضها مكتوب بفحم»[٢].

ثم أورد ابن عبدالهادي بعض هذه الأوراق التي كتبها ابن تيمية وفيها قوله: «ونحن ولله الحمد والشكر في نعم عظيمة، تتزايد كل يوم، ويجدد الله ـ تعالىٰ ـ من نعمه نعماً أخرىٰ، وخروج الكتب كان من أعظم النعم؛ فإني كنت حريصاً علىٰ خروج شيء منها؛ لتقفوا عليه، وهم كرهوا خروج الإخنائية؛ فاستعملهم الله ـ تعالىٰ ـ في إخراج الجميع، وإلزام المنازعين بالوقوف عليه»[٣].

وقوله: «وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسوله من الهدىٰ ودين الحق؛ فإن هذه المسائل كانت خفية علىٰ أكثر الناس، فإذا ظهرت فمن كان قصده الحق هداه الله، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله، واستحق أن يذله الله ويخزيه»[٤].

---

(١) العقود الدرية ص٢٨٥.
(٢) العقود الدرية ص٢٨٦.
(٣) المرجع السابق ص٢٨٦.
(٤) المرجع السابق ص٢٨٦.

وقوله: «وما كتبت شيئاً من هذا؛ لِيُكْتَم عن أحد، ولو كان مبغضاً، والأوراق التي فيها جواباتكم غسلت.

وأنا طيب، وعيناي طيبتان أطيب ما كانتا.

ونحن في نعم عظيمة لا تحصىٰ ولا تعد، والحمد للَّه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه»[1].

قال ابن عبدالهادي: «ثم ذكر ـ يعني ابن تيمية ـ كلاماً، **وقال:** (كل ما يقضيه اللَّه ـ تعالىٰ ـ فيه الخير والرحمة والحكمة، إن ربي لطيف لما يشاء، إنه هو القوي العزيز العليم الحكيم، ولا يدخل علىٰ أحد ضرر إلا من ذنوبه، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، فالعبد عليه أن يشكر اللَّه ويحمده دائماً علىٰ كل حال، ويستغفر من ذنوبه، فالشكر يوجب المزيد من النعم، والاستغفار يدفع النقم، ولا يقضي اللَّه للمؤمن قضاءًا إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له).

وهذه الورقة كتبها الشيخ وأرسلها بعد خروج الكتب من عنده بأكثر من ثلاثة أشهر: في شهر شوال، قبل وفاته بنحو شهر ونصف»[2].

وقال ابن عبدالهادي: «ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق، حمل إلىٰ القاضي علاء الدين القونوي، وجعل تحت

---

(١) العقود الدرية ص٢٨٩.

(٢) المرجع السابق ص٢٩٠.

يده في المدرسة العادلية.

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة، والتلاوة، والتذكر، والتهجد حتى أتاه اليقين.

وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين، أو إحدى وثمانين ختمة، انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر]، ثم كملت عليه بعد وفاته، وهو مسجى.

كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء، يختم في عشرة أيام، هكذا أخبرني أخوه زين الدين»[١].

إلى أن قال: «وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوماً، وأكثر الناس ما علموا بمرضه، فلم يفجأ الخلقَ إلا نعيُه، فاشتد التأسف عليه، وكثر البكاء والحزن، ودخل إليه أقاربه، وأصحابه، وازدحم الخلق على باب القلعة، والطرقات، وامتلأ جامع دمشق، وصلوا عليه، وحمل على الرؤوس، رحمه اللّه ورضي عنه»[٢].

هذا وقد ذكر ابن رجب أخباراً، وعجائب مما حصل في وفاته، ومن ذلك قوله: «وذكره[٣] مؤذن القلعة على منارة الجامع، وتكلم به الحرس على الأبراج؛ فتسامع الناس بذلك،

(١) العقود الدرية ص٢٩٠ ـ ٢٩١.
(٢) العقود الدرية ص٢٩١.
(٣) أي ذكر وفاته.

وبعضهم أُعلم به في منامه، وأصبح الناس، واجتمعوا حول القلعة حتىٰ أهل الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئاً، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أول النهار، وفتح باب القلعة»[١].

إلىٰ أن قال: «واجتمع عند الشيخ في القلعة خلق كثير من أصحابه، يبكون، ويثنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبدالرحمن أنه ختم هو الشيخ منذ دخلا ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين؛ فانتهيا إلىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر]»[٢].

ثم قال: «وخرج الرجال، ودخل النساء من أقارب الشيخ؛ فشاهدوه، ثم خرجوا، واقتصروا علىٰ من يغسله، ويساعد في تغسيله، وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم كالمزي وغيره.

ولم يُفْرغ من غسله حتىٰ امتلأت القلعة بالرجال وما حولها إلىٰ الجامع؛ فَصَلىٰ عليه بدركات القلعة: الزاهد القدوة محمد بن تمام وضج الناس حينئذٍ بالبكاء، والثناء، والدعاء، والترحم»[٣].

ثم ذكر ابن رجب أن الشيخ «أخرج إلىٰ جامع دمشق عند الساعة الرابعة أو نحوها، وكان قد امتلأ الجامع وصحنه،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٥ ـ ٤٠٦.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٦.
(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٦.

والكلاسة، وباب البريد، وباب الساعات إلىٰ الميادين، والفوارة، وكان الجمع أعظم من جمع الجمعة، ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، والجند يحفظون الجنازة من الزحام.

وجلس الناس علىٰ غير صفوف، بل مرصوصين لا يتمكن أحد من الجلوس والسجود إلا بكلفة، وكثرة الناس لا توصف»[١].

ثم ذكر أنه لما أذن المؤذن بالظهر أقيمت الصلاة، فصلوا الظهر، ثم صلوا علىٰ الشيخ، وساروا به، والناس في بكاء، ودعاء، وثناء، وتهليل، وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلىٰ المقبرة يدعين، ويبكين.

وكان يوماً مشهوداً لم يشهد بدمشق مثله، ولم يتخلف من أهل البلد وحواضره إلا القليل من الضعفاء والنساء.

وذكر أنه صرخ صارخ: هكذا تكون جنائز أئمة أهل السنة؛ فبكىٰ الناس كثيراً عند ذلك[٢].

إلىٰ أن قال: «وأخرج من باب البريد، واشتد الزحام، وألقىٰ الناس علىٰ نعشه مناديلهم، وعمائمهم، وصار النعش علىٰ الرؤوس يتقدم تارة، ويتأخر أخرىٰ، وخرج الناس من أبواب الجامع كلها وهي مزدحمة، ثم من أبواب المدينة كلها، لكن

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(٢) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٧.

كان المعظم من باب الفرج، ومنه خرجت الجنازة، وباب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخيل»[(١)].

وقال: «وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه: زين الدين عبدالرحمن، ودفن وقت صلاة العصر، أو قبلها بيسير إلىٰ جانب أخيه شرف الدين عبداللّٰه بمقابر الصوفية.

وحُزِر الرجال بستين ألفاً أو أكثر، إلىٰ مائتي ألف، والنساء بخمسة عشر ألفاً، وظهر بذلك قول الإمام أحمد: بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز»[(٢)].

ثم ذكر ابن رجب أن الناس ترددوا إلىٰ قبره أياماً كثيرةً ليلاً ونهاراً، ورئيت له منامات كثيرة صالحة، ورثاه خلق كثير من العلماء والشعراء بقصائد من بلدان شتىٰ، وأقطار متباعدة[(٣)].

إلىٰ أن قال: «وصلي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة.

حتىٰ في اليمن والصين، وأَخْبَر المسافرون أنه نودي بأقصىٰ الصين للصلاة عليه يوم جمعة: الصلاة علىٰ ترجمان القرآن»[(٤)].

وهكذا طويت تلك الصفحة العظيمة طي السجل للكتب،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٧.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٧.
(٣) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٧.
(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٧.

وأفضىٰ صاحبها إلىٰ ربه الغفور الرحيم الشكور الكريم؛ فرحمه اللَّه، وغفر له، ورفع درجاته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.





المبحث الثالث

منهجه في التأليف، ودراسة مذاهب المخالفين

وفيه مطلبان:

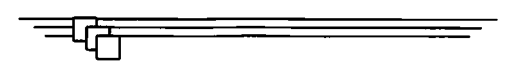
المطلب الأول: منهجه في التأليف

المطلب الثاني: منهجه في دراسة مذاهب المخالفين
- الفلاسفة والمتكلمين نموذجًا -



المطلب الأول

منهجه في التأليف



لقد فُتح علىٰ ابن تيمية في باب التأليف فتحًا عظيمًا؛ حيث وهبه اللَّه بركة في الوقت، وقدرة فائقة علىٰ التأليف، والكتابة، برغم ما كان فيه من الجهاد، والأسفار، وفترات السجن، ونحو ذلك من القواطع التي تأكل الأعمار أكلاً، ولا تدع مجالاً للتأليف الذي يحتاج إلىٰ استقرار، وصفاء ذهن، ووفرة كتب.

ومع ذلك كله فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ آية في التأليف، والتحرير، وتنوع المادة العلمية، وكثرتها؛ بحيث يتعذر علىٰ باحث أن يحيط بها جميعاً.

وتلك ميزة يعز نظيرها؛ إذ يغلب علىٰ بعض من يكثر التأليف أن تكون تآليفه أو بعضها متخاذلة، متفاوتة.

أما ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فكانت تآليفه غايةً في الجودة مع كثرتها، وتنوع مادتها؛ حيث اتسمت بسمات كثيرة تدل علىٰ طول باعه، ورسوخ قدمه، وامتلاكه ناصية التأليف، واستكماله أدواته؛ فلا غرو أن جاءت مؤلفاته علىٰ هذا الطراز المتميز، وعلىٰ نحو السهل الممتنع(١)، وإن كان أسلوبه يختلف أحياناً من ناحية

---

(١) المقصود بالسهل الممتنع: السهل: الذي يفهمه من قرأه وسمعه، =

القوة، وصعوبة الفهم.

ومَرَدُّ ذلك إلىٰ اختلاف الموضوعات التي يتناولها؛ خصوصاً ما كان منها في باب الرد والنقض؛ إذ إن ذلك يفرض عليه التنزل مع الخصوم، ومخاطبتهم باصطلاحاتهم، ومنازلتهم علىٰ وَفْق ما تقتضيه مناهجهم، وطرائق بحثهم.

بل لا يُبالَغ إذا قيل: إنه جدَّدَ في عالم التأليف، وأضاف للمعارف الإنسانية ثروة ضخمة، ومناهج علمية مبتكرة؛ تتسم بالقوة، والجدة؛ فجاءت علىٰ نحو أشبه ما يكون بخرق العادة[(١)].

يقول **الدكتور محمد رشاد سالم** ـ وهو من خَبَرَ مؤلفات ابن تيمية، وقضىٰ معظم عمره العلمي والأكاديمي في خدمتها[(٢)] ـ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً أهمية مؤلفات ابن تيمية: «ولا تقتصر أهمية مؤلفات ابن تيمية علىٰ ما بها من علم غزير، وآراء ناضجة،

= والممتنع: المتعذر علىٰ من رام أن يكتب أو يقول مثله. انظر كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص٦١.

(١) انظر مقدمة ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً، والمعجزات والكرامات لابن تيمية تحقيق د. محمد يسري سلامة، دار ابن الجوزي، القاهرة ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م، ص٤١ ـ ٤٣.

(٢) وهو الذي اعتنىٰ بإخراج مؤلفاته مثل: درء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السنة النبوية، والصفدية، والاستقامة، وجامع الرسائل.

ونظرات صائبة.

ولكنها تعد ـ فوق ذلك كلِّه ـ سِجِلاً حافلاً يضم معلومات شتىٰ لها أعظم القيمة»[(١)].

إلىٰ أن يقول مبيناً أهمية تلك المؤلفات وقيمتها العلمية: «وابن تيمية ـ كما نعلم ـ من رجال القرن الثامن الهجري، ويمكنني القول بأنه قد استوعب أهم ما أُلف، وكُتب قبل عصره من العلوم المختلفة، ثم نَقَل إلينا خلاصةَ ما علمه ضمن مؤلفاته»[(٢)].

إلىٰ أن قال موضحاً كيفية هذا النقل: «وكان هذا النقل عن طريق الإشارة إلىٰ الآراء المختلفة، والتعليق عليها أحياناً، وعن طريق ذكر نصوص كاملة من أقوال من سبقه من العلماء ـ أحياناً ـ.

ولذلك فكثيراً ما نجد ضمن مؤلفاتِه صفحاتٍ كاملةً منقولةً من كتب أخرىٰ قد تكون مفقودةً، أو ما زالت مخطوطةً في كثير من الأحيان»[(٣)].

ولقد كُتب لتلك المؤلفات القبول، فطارت شهرتها في وقته؛ فكانت كما يقول تلميذه الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أشهر

---

(١) مقدمة منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٩٦م، ١/ ٨٠.

(٢) مقدمة منهاج السنة النبوية ١/ ٨٠.

(٣) مقدمة منهاج السنة النبوية ١/ ٨٠.

من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، وسارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، وقد جاوزت حد الكثرة؛ فلا يمكن لأحد حصرها، ولا يسع هذا المكان لعدِّ المعروف منها ولا ذكرها»[(١)].

قال ابن عبدالهادي في معرض الكلام علىٰ تأليفه نقلاً عن الذهبي: «ويكتب في اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصوليين، أو من الرد علىٰ الفلاسفة والأوائل ـ نحواً من أربعة كراريس، أو أزيد، وما أُبْعِدُ أن تصانيفه إلىٰ الآن تبلغ خمسمائة مجلدة، وله في غير المسألة مصنف مفرد في مجلد.

ثم ذكر بعض تصانيفه، وقال: ومنها كتاب في الموافقة بين المعقول والمنقول في مجلدين»[(٢)].

ثم قال ابن عبدالهادي منوهاً بالكتاب المذكور: «هذا الكتاب، وهو كتاب (درء تعارض العقل والنقل) في أربع مجلدات كبار، وبعض النسخ به في أكثر من أربع مجلدات، وهو كتاب حافل عظيم المقدار، رد الشيخ فيه علىٰ الفلاسفة والمتكلمين»[(٣)].

ويقول مواصلاً الكلام علىٰ مؤلفاته: «وللشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المصنفات، والفتاوىٰ، والقواعد، والأجوبة، والرسائل، وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضبط.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٣.
(٢) العقود الدرية ص٢٤.
(٣) المرجع السابق ص٢٣.

ولا أعلم أحداً من متقدمي الأمة، ولا متأخريها جمع مثل ما جمع، ولا صنف نحو ما صنف، ولا قريباً من ذلك، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه، وكثير منها صنفه في الحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب»[١].

وبعد ذلك شرع ابن عبدالهادي في ذكر مصنفات ابن تيمية[٢]، وقال في أثناء سرده لتلك المصنفات: «وله أجوبة في أحاديث يسأل عنها من صحيحٍ شَرَحه، وضعيفٍ بَيَّن ضَعْفَه، وباطلٍ بَيَّن بطلانه.

وله من الأجوبةِ والقواعد شيءٌ كثير غير ما تقدم ذكره يَشُقُّ ضبطُه وإحصاؤه، ويَعْسُر حصرُه واستقصاؤه.

وسأجتهد إن شاء اللَّه ـ تعالىٰ ـ في ضبط ما يمكنني من ضبط مؤلفاته في موضع آخر غير هذا، وأبين ما صنفه منها بمصر، وما ألفه منها بدمشق، وما جمعه وهو في السجن، وأرتبه ترتيباً حسناً غير هذا الترتيب بعون اللَّه ـ تعالىٰ ـ وقوته ومشيئته»[٣].

إلىٰ أن قال: «قال الشيخ أبو عبداللَّه[٤]: لو أراد الشيخ تقي الدين رحمه الله أو غيره حصرها ـ يعني مؤلفات الشيخ ـ لما قدروا؛

---

(١) المرجع السابق ص٢٣.

(٢) انظر العقود الدرية ص٢٤ ـ ١٩٢.

(٣) العقود الدرية ص٧٢.

(٤) يعني به ابن رشَيِّق وهو من أخص أصحاب ابن تيمية، وأبصرهم بخطِّه، وأكثرهم كتابةً لكلامه، وحرصاً علىٰ جمعه. انظر العقود الدرية ص٢٥.

لأنه ما زال يكتب، وقد مَنَّ اللَّه عليه بسرعة الكتابة، ويكتب من حفظه من غير نقل.

وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً في يوم، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر، وأحصيت ما كتبه وبيَّضه في يوم، فكان ثمانَ كراريسَ في مسألة مِنْ أشكل المسائل، وكان يكتب علىٰ السؤال الواحد مجلداً»[1].

ويضيف ابن عبدالهادي قائلاً: «وأما جوابٌ يكتب فيه خمسين ورقة وستين وأربعين وعشرين - فكثير.

وكان يكتب الجواب؛ فإن حضر من يُبَيِّضه وإلا أخذ السائل خطه وذهب.

ويكتب قواعد كثيرة في فنون من العلم في الأصول، والفروع، والتفسير، وغير ذلك، فإن وجد من نقله من خطه، وإلا لم يشتهر، ولم يعرف، وربما أخذه بعض أصحابه، فلا يقدر علىٰ نقله، ولا يرده إليه؛ فيذهب.

وكان كثيراً ما يقول: قد كتبت في كذا وفي كذا»[2].

ثم يتطرق لشيء من أسباب ضياع شيء من علمه، فيقول: «ويُسأل عن الشيء فيقول: قد كتبت في هذا، فلا يدري أين هو، فيلتفت إلىٰ أصحابه، ويقول: ردوا خطي، وأظهروه؛ لِيُنْقَلَ؛ فمن حرصهم عليه لا يردونه، ومن عجزهم لا ينقلونه، فيذهب،

---

(١) العقود الدرية ص٧٢.

(٢) العقود الدرية ص٧٢.

ولا يعرف اسمه.

فلهذه الأسباب وغيرها تَعَذَّرَ إحصاء ما كتبه وما صنفه»[١].

ثم يضيف أسباباً أخرىٰ لذلك، فيقول: «وما كفىٰ هذا إلا أنه لما حبس، وتفرق أتباعه، وتفرقت كتبه، وخوَّفوا أصحابه من أن يظهروا كتبه ـ ذهب كل أحد بما عنده، وأخفاه، ولم يظهروا كتبه؛ فبقي هذا يهرب بما عنده، وهذا يبيعه أو يهبه، وهذا يخفيه ويودعه، حتىٰ إن منهم من تسرق كتبه، أو تجحد؛ فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يقدر علىٰ تخليصها، فبدون هذا تتمزق الكتب، والتصانيف»[٢].

ثم يُلْمِحُ ابن عبدالهادي إلىٰ إشارة لطيفة لسبب حفظ آثاره، فيقول: «ولولا أن اللَّه ـ تعالىٰ ـ لطف، وأعان، ومَنَّ، وأنعم، وجرت العادة في حفظ أعيان كتبه، وتصانيفه ـ لما أمكن لأحد أن يجمعها.

ولقد رأيت من خرق العادة في حفظ كتبه، وجمعها، وإصلاح ما فسد منها، ورد ما ذهب منها ـ ما لو ذكرته لكان عجباً يعلم به كل منصف أن للَّه عنايةً به وبكلامه؛ لأنه يذب عن سنة نبيه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[٣].

هذا وينْسَبُ إلىٰ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ جزءٌ لطيفٌ في أسماء

(١) العقود الدرية ص٧٢.
(٢) العقود الدرية ص٧٢.
(٣) العقود الدرية ص٧٣.

ومـؤلفات شـيخ الإسـلام ابـن تيمـية، وذكـر مـا رآه مـنها في التفـسير، والأصـول، والقـواعد، والفـتاوىٰ، فذكـر ثلاثمائـة وخمسة وأربعين اسماً منها[1].

وقال البزار مشيراً إلىٰ جانب مهم من جوانب منهجية ابن تيمية في مصنفاته، ألا وهو دقة النقل، والأمانة العلمية، قال: «ومن أعجب الأشياء في ذلك أنه في محنته الأولىٰ بمصر لما أخذ وسجن، وحيل بينه وبين كتبه صنف عِدَّةَ كتبٍ صغاراً وكباراً، وذكر فيها ما احتاج إلىٰ ذكره من الأحاديث والآثار، وأقوال العلماء، وأسماء المحدثين، والمؤلفين، ومؤلفاتهم، وعزا كل شيء من ذلك إلىٰ ناقليه وقائليه بأسمائهم، وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها، وأي موضع هو منها كل ذلك بديهة من حفظه؛ لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه.

ونُقِّبت، واختُبرت، واعتبرت فلم يوجد فيها ـ بحمد اللَّه ـ خلل ولا تغيير»[2].

ويشير ابن عبدالهادي إلىٰ جانب من جوانب المنهجية في التأليف لدىٰ ابن تيمية، فيقول: «كانت له اليدُ الطولىٰ في

---

(١) انظر أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف ابن قيم الجوزية، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
هذا وقد نُسب هذا الكتاب لابن رُشيِّق كاتب ابن تيمية.
وهذا ما رجحه صاحبا كتاب: (الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية) لاعتبارات عدة. انظر الجامع ص ٨ ـ ١٣.

(٢) الأعلام العلية ص٢٤.

حسن التأليف، وجودة العبارة، والتقسيم والتبيين»[١].

وقال الدكتور محمد رشاد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مؤكداً على أهمية** العناية بآثار ابن تيمية: «وقد كنت أعتقد ـ وما زلت ـ أن ابن تيمية هو من أجدر علماء المسلمين بالعناية والاهتمام، وأن مؤلفاته يجب أن تكون ضمن أول ما يجب المبادرة بنشره، ودراسته من كنوز سلفنا الصالح»[٢].

إلى أن قال: «وما أدَّعي أن ابن تيمية يفوق في الفضل والعلم أئمة السلف، وأهل السنة.

ولكنني أقول: إنه قد أتيحت له فرصة لم تُتَحْ لأكثر من كان قبله من أَجِلَّة العلماء؛ فقد استنار عقله، وقلبه بعلوم الكتاب والسنة، ثم سلط هذا النور على ما ذاع ونشر في زمانه من الأفكار المنحرفة، والآراء الزائغة؛ فكشف عن عوارها، وأبان عن مواضع خطلها، وفسادها»[٣].

إلى أن قال: «واستقى ذلك من المنبعين الطاهرين الصافيين ما يقابل كل فكرة ضالة من الأفكار الصحيحة التي توافق كتاب اللَّه، وسنة رسوله؛ فوجدنا في تصانيفه بياناً لهدى الإسلام في كل مشكلة فلسفية أو كلامية، أو غيرهما من المشكلات الخلافية، أو محاولة مخلصة ـ على أقل تقدير ـ لمعرفة هذا الهدى، واستنباطه، ولبيان مدى موافقة كل رأي ذائع، أو

---

(١) العقود الدرية ص٩.

(٢) مقدمة منهاج السنة النبوية ١/ ٨٠.

(٣) مقدمة منهاج السنة النبوية ١/ ٨٠ ـ ٨١.

مخالفته للكتاب والسنة»[١].

ثم أوضح أن ذلك كان باعثه ليكون موضوع دراسته العلمية الأكاديمية، فقال: «ولهذا كله اخترت مذهب ابن تيمية ليكون موضوع الرسالة التي وفقني اللَّه ـ تعالىٰ ـ للحصول علىٰ الدكتوراه بها من جامعة كمبرج بإنجلترا، والتي كان عنوانها (موافقة العقل للنقل عند ابن تيمية)»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة تحقيقه لكتاب (درء تعارض النقل والعقل لابن تيمية) بعد أن استعرض موضوعات الكتاب، قال: «وأحسب أن ابن تيمية في هذه الأبحاث، وما اتصل بها ـ ليس له نظير في العمق، والإبداع»[٣].

فهذه إشارات عامة إلىٰ معالم منهجه في التأليف، وسيتبين في المطلب التالي، والمبحث الرابع مزيد بيان لذلك.



---

(١) مقدمة منهاج السنة النبوية ١/٨١.
(٢) مقدمة منهاج السنة النبوية ١/٨١.
(٣) مقدمة تعارض العقل والنقل.

المطلب الثاني

منهجه في دراسة مذاهب المخالفين

ـ الفلاسفة والمتكلمين نموذجًا ـ

لقد نازل ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ المخالفين على اختلاف طوائفهم، وفرقهم، ومذاهبهم؛ فنازل أهل الكتاب، ونازل الفلاسفة، وسائر المتكلمين، ونازل الشيعة، والصوفية، وغيرهم.

وكان له منهج متميز في دراسة مذاهب المخالفين، والمقام لا يحتمل التفصيل؛ لذلك سيكون الكلام في هذا المطلب حول طريقته في دراسة مذاهب الفلاسفة والمتكلمين؛ فابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَلَمَّ بالفلسفة، وكانت دراسته لها دراسة واعية، متأنية؛ إذ كانت دراسةَ مقارنةٍ، وتحليلٍ، ونقد، دراسةً تقوم على العدل، والتثبت، والتروي.

يقول عنه د. محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك الشأن: «قرأ الفلسفة، ووقف على دقائقها، وكان يعرف الفلسفة اليونانية القديمة؛ بدليل ما ينقله من آراء أفلاطون، وأرسطو، ومقارنته بينهما، وكذلك قرأ المنطق الأرسطي، ونَقَدَه رغم انتفاعه به كثيراً في مناقشته للفرق المختلفة»[1].

---

(١) باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٢٧.

إلىٰ أن قال: «أما دراسته للفلسفة الإسلامية فكانت دراسة استيعاب وتمحيص تدل علىٰ عمقٍ وبعد نظر؛ فقد قرأ كل ما كتبه فلاسفة الإسلام، ولا سيما كتب ابن سينا، وابن رشد، وكان كثيراً ما يستعين بآراء هذا الأخير في نقده لمدرسة الفارابي، وابن سينا، ومناقشة المتكلمين، وكان علىٰ علمٍ تامٍّ بمناهج هؤلاء الفلاسفة الإسلاميين، وما حاولوه من التوفيق بين الدين والفلسفة»[1].

والذي يميز ابن تيمية في دراسته للفلسفة أنها دراسة الناقد البصير - كما يقرر ذلك: الدكتور الهراس - فلم تكن تلك الدراسة الواسعة التي قام بها ابن تيمية لمذاهب المتكلمين والفلاسفة لرغبة منه في الوصول إلىٰ الحقيقة، أو لكي يتلمس عندها الهدىٰ والشفاء، كما فعل الغزالي مثلاً حينما طوَّف بين المذاهب المختلفة حتىٰ ارتمىٰ أخيراً في أحضان التصوف معتقداً أنه الطريق الموصل إلىٰ اللَّه - تعالىٰ - كما حكىٰ هو عن نفسه في المنقذ من الضلال.

ولكن ابن تيمية إنما درس هذه المذاهب تلك الدراسة المتقنة فيما نعتقد لكي يتمكن من نقدها نقداً علمياً نزيهاً بعيداً عن شوائب الطعن؛ فقد كان يعتقد أن نقد المذهب قبل الوقوف علىٰ حقيقته خبطٌ في ظلام[2].

ثم إن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يرىٰ أن أعظم ما يستفاد من أقوال

---

(١) باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٢٧.
(٢) انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٣١.

المخالفين في أقوالهم الباطلة ـ هو بيان قول الطائفة الأخرىٰ، فيعرف الباحث والطالب فساد تلك الأقوال، ويكون ذلك داعياً له إلىٰ طلب الحق[(١)].

ولم يكن ابن تيمية ليرىٰ غضاضة من الإفادة ممن سبقه في نقد الفلسفة، وإنما كان يخالف مَنْ أفاد منهم في جوانبَ مِنْ نقدهم لها؛ لذا يلاحظ أنه قد تأثر كثيراً بالغزالي في نقده للفلسفة، كما تأثر بابن رشد في نقده للغزالي وللمتكلمين.

غير أن أسلوبه في النقد كان أحَدَّ حَدّاً، وألذعَ مِيسماً من أسلوبهما.

كما أن نقده كان شاملاً لجميع المخالفين، بل تعدىٰ نَقْدُهُ إلىٰ بعض من يُخْطِؤون في نقد الفلسفة أو الفلاسفة، كما في صنيعه مع الغزالي.

ويُلْحظ في نقده للفرق المخالفة أنه كان كثيراً ما يستخدم أساليب منطقية في غاية الهدوء والاتزان.

وتراه ـ أحياناً ـ يشتد في نقده، ويقوىٰ في ردِّه حسب ما يستدعيه المقام[(٢)].

ولئن كان ابن رشد يعظّم أرسطو، ويغالي في الثناء عليه فإن ابن تيمية لا يرىٰ هذا الرأي، بل كان يرىٰ أن الفلاسفة

---

(١) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٣/٢٩، وباعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٣٣.

(٢) انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٣٣ ـ ٣٤.

المتقدمين كأرسطو أبعد الناس عن معرفة الأمور الإلهية، وأن أكثر كلامهم فيها خَبْطٌ وتخليط؛ لأنهم لم يستضيؤوا بنور النبوة، ولا كانت عندهم شريعة؛ فلذلك كان كلامهم في هذه الشؤون ـ مع كثرة ما فيه من الخطأ ـ في غاية الندرة والقلة.

ويُشَبِّه ابن تيمية كلام أرسطو في الإلهيات «بِلَحْمِ جَمَلٍ غثٍّ علىٰ رأس جبلٍ عالٍ وعر، وأنه لا سهل فيرتقىٰ، ولا سمين فيقلىٰ»[1].

وأما رأيه في فلاسفة المسلمين كالفارابي، وابن سينا فيرىٰ أنهم ـ وإن كانوا قد توسعوا في هذه المباحث وتكلموا في الإلهيات والنبوات والمعاد بما لا يوجد عند هؤلاء الفلاسفة المتقدمين وكان كلامهم في ذلك أجود وأقرب إلىٰ الحق من كلام سلفهم ـ مزجوا الحق الذي أخذوه من الدين بالباطل الذي بنوه علىٰ أصولهم الفلسفية الفاسدة، وحاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، ولكن علىٰ حساب الدين؛ فهم يَعْمَدون إلىٰ النصوص، فيؤولونها بتأويلات بعيدة ومتكلفة؛ حتىٰ تتلاءم مع قواعدهم الفلسفية[2].

وإذا كان ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أفاض في نقد المناهج السالفة في العقيدة، وذم أصحابها ـ فقد رأىٰ أن النهج القويم الذي يجب اتباعه في ذلك ـ هو منهج السلف الذين وقفوا عند حدود الكتاب والسنة دون أن يبتدعوا في الدين شيئاً[3].

---

(١) انظر مجموعة الرسائل الكبرىٰ لابن تيمية ١/١٨٦.
(٢) انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٣٩.
(٣) انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٤٤.

ولئن كان الفلاسفة يجرون النصوص إلىٰ الفلسفة ـ فإنه قد أخذ يجر العقل إلىٰ خدمة النص.

وفي سبيل ذلك اضطر إلىٰ أن يهدم كثيراً من قضايا العقل التي يظنها بعض الناس ضرورية، وأن يقيم مكانها أخرىٰ تتلاءم مع نصوص الدين الصريحة؛ بحيث لا يحتاج إزاء هذه النصوص إلىٰ إنكار أو تأويل(١).

ومما يلحظ علىٰ طريقة ابن تيمية في الدفع والتأييد أنه من أوائل من أخذ في الإسلام بأساليب النقد الحديثة؛ فإن الغزالي وإن كان قد سبقه بنقد الفلسفة ـ لم تكن طريقته في النقد سليمة؛ فقد صرح بأن غرضه من النقد إنما هو الهدم فقط لا البناء، كما أنه ـ أي الغزالي ـ كان لا يرىٰ مانعاً من إلزام الفلاسفة بأي مذهب من المذاهب المنتمية إلىٰ الإسلام مهما كانت باطلة في نظره؛ بحجة أن خطرها علىٰ العقيدة أقل من خطر الفلسفة.

أما ابن تيمية فكان يتخذ من النقد أداة للوصول إلىٰ الحق المحض، ولذلك لم يَخُصَّ بنقده فرقة معينة أو مذهباً خاصاً كما مرّ، بل وَجَّه نقده إلىٰ جميع ما كان معروفاً في عصره من فرق ومقالات باطلة في نظره؛ حتىٰ يكشف لقارئه عن معايبها، ويبين له وجوه تهافتها، وتناقضها، ولا يترك له فرصة للتردد والحيرة بينها، ثم يبين له ـ مع ذلك ـ ما يعتقده المذهب

---

(١) وعلىٰ هذا بنىٰ كتابه العظيم درء تعارض العقل والنقل. انظر باعث النهضة الإسلامية ص٥٢.

الصحيح الذي يجب أن يسلكه.

وإن كان ـ في ذلك كله ـ يقف موقف الاعتدال، ويوضح ما بين المذاهب والفرق والمقالات من بعد عن الحق، أو قرب منه.

وهذه النزعة التي ترمي للوصول إلىٰ الحق هي التي جعلت ابن تيمية يعترف بما عساه يوجد عند بعض هذه الفرق من آراء صحيحة موافقة للحق، ويمدحهم عليها(١).

ومن أعظم ما تميز به رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ردوده علىٰ المخالفين عموماً الأمانة العلمية، وقد شهد له بتلك الخصلة أعداؤه قبل محبيه، فصارت كتبه موضع ثقة الدارسين علىٰ اختلاف مشاربهم(٢).

ولقد كان من منهجه في ذلك دعوته إلىٰ نقل الأقوال بألفاظها، والدقة في نسبتها إلىٰ أصحابها، ورجوعه إلىٰ المصادر والكتب، والاعتذار إذا لم يجدها، ورجوعه إلىٰ أكثر من نسخة للكتاب الواحد(٣).

يقول الأستاذ عبدالعزيز المراغي منبهاً علىٰ تلك الخصلة: «وبهذه المناسبة يجدر بنا أن ننبه علىٰ شيء واضح الوضوح كله في آراء ابن تيمية وألوان حواره؛ ذلك أنه لا يذكر رأياً عن

---

(١) انظر باعث النهضة الإسلامية ص ٦١ ـ ٦٢.

(٢) انظر نشأة الفكر الفلسفي د. علي سامي النشار، ط٧، ١٩٧٧م، دار المعارف بمصر، ١/ ٢٧٠، و٢٧٨، ونشأة الأشعرية وتطورها د. جلال محمد موسىٰ، ط١، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٣٢٤، وفي علم الكلام لأحمد صبحي ٢/ ٩٥ ـ ٩٦.

(٣) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/ ٣١٧ ـ ٣٢٧، ففيه تفصيل ونماذج لأمانة ابن تيمية العلمية.

شخص إلا بمشافهة، أو بنقل عن كتاب عرفه»[١].

إلىٰ أن يقول: «وفي كتاب (مجموعة الرسائل والمسائل) كثير من محاوراته مع أصحاب البدع والمذاهب الضالة، وكثير من أساليبه التي فيها شيء من الجدة والطرافة في مناقشة المبتدعين من خصومه علىٰ نحو من الإلزام لا يعرف إلا لابن تيمية من رجال عصره.

وطبيعي أن يجعل هذا النحو من الاتصال الشخصي أو القراءة الموثوق بها ابن تيمية بمنجاة من الطعن عليه بجهل، أو خطأ في نقل، أو ضلال، أو تضليل»[٢].

وابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإن كان يخالف الفلاسفة في أصولهم، وكثير من المسائل التي خاضوا فيها ـ لا يجد حرجاً في موافقتهم في بعض ما أصابوا به، ولا تقوده مخالفته الفلاسفة إلىٰ موافقةِ كلِّ من انتقدهم بحق أو باطل؛ لذا نراه ينقد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض نقده للفلسفة، وفي كونه اتبع كثيراً من أصولها، وأن كلامه لا هو إلىٰ الإسلام المحض ولا إلىٰ الفلسفة الصريحة.

إن ابن تيمية يجعل الغزالي برزخاً بين الإسلام والفلسفة، ويقول: إن المسلم يتفلسف به تفلسف مسلم، والفيلسوف يسلم به إسلام الفيلسوف، ويرميه ـ أيضاً ـ بالتقلب بين

---

(١) ابن تيمية للشيخ عبدالعزيز المراغي ص٦٩.
(٢) ابن تيمية للشيخ عبدالعزيز المراغي ص٦٩ ـ ٧٠، وانظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٦٢.

المذاهب المختلفة، ويروي في حقه ذلك البيت الذي أنشده ابن رشد من قبل[(١)]:

يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمنٍ
وإن لقيتُ معديّاً فعدناني[(٢)]

---

(١) هذا البيت أورده ابن رشد بعد أن قال عن الغزالي: «لم يلزم مذهباً في كتبه؛ إذ هو مع الأشاعرة أشعري، ومع الصوفية صوفي، ومع الفلاسفة فيلسوف، حتىٰ كأنه كما قيل: يوماً يمانٍ.....». فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، للقاضي أبي الوليد ابن رشد، قدم له، وعلق عليه د. البير نصري نادر، ط٢، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص٤٨. والبيت لعمران بن حِطَّان الخارجي. انظر الكامل للمبرد، عارضه بأصوله، وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، والسعيد شحاته، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ٣/ ١٧٠. انظر خزانة الأدب، ولباب لسان العرب، لعبدالقادر البغدادي، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي ٥/٣٥٧، والنبوات ١/ ٣٩١، ومنهاج السنة لابن تيمية ١/ ١٩، و٣٥٧، وبغية المرتاد في الرد علىٰ المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. موسىٰ بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٨٣، و٣٨٦ ـ ٣٨٧، وانظر الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، تقديم د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٥٠ ـ ١٥٢.

(٢) قال في النبوات ١/ ٣٩١: «وأبو حامد بين علماء المسلمين وعلماء الفلاسفة: علماء المسلمين يذمونه علىٰ ما شارك فيه الفلاسفة مما يخالف دين الإسلام، والفلاسفة يعيبونه علىٰ ما بقي معه من =

ويلحظ أن ابن تيمية قد وافق ابن رشد في اعتباره أن تكون الأدلة شرعية جاء بها الشارع، ودعا الناس إلىٰ الاستدلال بها مع كونها مغروزة في الفطر والطبائع الإنسانية[١].

كما أن تأثره بابن رشد لم يمنعه من نقد ابن رشد نَفْسِه، لاعتقاد أن ابن رشد في تناوله لكثير من القضايا، والمسائل الكلامية، وانتصاره للعقل والبرهان قد جنح عن مذهب السلف، إما بإيراده لأمور فاسدة من عنده، أو أنه ردد فساد ما قاله من سبقه من المتكلمين وفلاسفة اليونان خصوصاً أرسطو ومن شايعه؛ فابن تيمية يرىٰ أن ابن رشد قد خالف ـ في كثير من ذلك ـ صحيح المنقول، وصريح المعقول[٢].

يضاف إلىٰ ذلك ما يتسم به من طول النفس، ولزوم العدل، واطراد المنهج، والبعد عن الاعتساف.

فهذه نبذة يسيرة تبين منهجه في دراسة مذاهب المخالفين عموماً، ومعالجته لقضايا الفلسفة وعلم الكلام علىٰ وجه الخصوص.

وسيأتي مزيد بيان لذلك في المبحث التالي.

= الإسلام، وعلىٰ كونه لم ينسلخ منه بالكلية إلىٰ قول الفلاسفة؛ ولهذا كان الحفيد ابن رشد ينشد فيه:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن ....».

(١) انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٨١.

(٢) انظر مناحي نقد ابن تيمية لابن رشد، لعبدالعزيز العماري، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ٢١٣، ص٣٧٣ ـ ٣٩٠.



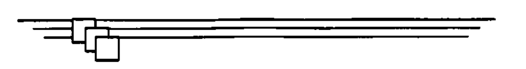
المبحث الرابع

الميزات المنهجية لمؤلفات ابن تيمية



المبحث الرابع

الميزات المنهجية لمؤلفات ابن تيمية



لقد امتازت مؤلفات ابن تيمية بميزات كثيرة، وتفردت بسمات لا تكاد توجد عند غيره.

وقد مرت الإشارة إلىٰ شيء من ذلك في المطالب الماضية.

وتلك الميزات جديرة بالدراسة، والتحليل؛ لتتجلىٰ من خلالها معالم العبقرية فيها.

وفيما يلي بيان لتلك الميزات والسمات بشيء من البسط، وضرب الأمثلة علىٰ بعض تلك الميزات والسمات؛ إذ بعضها يكفي مجرد ذكره، والإشارة إليه؛ لكونها ظاهرة في مؤلفاته بكثرة، ويلحظها من له أدنىٰ نظر في آثاره.

ولو ضربت أمثلة عليها من آثاره لطال الكلام.

لذا سَيُذْكَر بعضها مجملاً، وبعضها مشتملاً علىٰ أمثلة، مع ملاحظة أن أكثر الأمثلة متداخلة، صالحة لأن يمثل بها لأكثر السمات والميزات؛ فإلىٰ بيان ذلك:

❁ أولاً: عنايته بشأن العقيدة، والرد على المخالفين في شأنها:

وذلك كثير جداً، سواء في تقريره لعقيدة السلف عموماً، أو دراسته المفصلة لبعض مسائلها، أو ردوده علىٰ سائر

المخالفين من سائر الطوائف، والملل، والنحل.

لذا تراه قد كتب في مجمل اعتقاد السلف، وفي مُفصَّل اعتقاد السلف، وبسط القول في سائر أبواب الاعتقاد، وما يندرج تحتها، كالإيمان بالله، وأنواع التوحيد الثلاثة، وكالإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، وكتفاصيل الكلام على الإيمان باليوم الآخر، ومسائلِ القدر، وإشكالاتها، وكبسطه القولَ في أبواب الإيمان، والتكفير، والإمامة، والصحابة، والآل، وما جرى مجرى ذلك.

وبمجرد إلقاء نظرة على عنوانات مؤلفاته ـ خصوصاً مجموع الفتاوى ـ يتبين ذلك بوضوح.

۞ ثانياً: إيراده لأقوال الفقهاء، والمفسرين، ونحوهم:

ومناقشة تلك الأقوال، وتوجيهها، وترجيح ما يراه مع بيان السبب لذلك، مع ميل ظاهر إلى التيسير في أغلب اختياراته الفقهية.

وما فتواه الشهيرة في الطلاق، وعدم اشتراط الطهارة في طواف الحج إلا أمثلة من ذلك.

وقل مثل ذلك في رأيه في توبة المرابي؛ إذ يرى كثير من العلماء أن المرابي إذا تاب من الربا فعليه أن يخرج من ماله ما اكتسبه من الربا، ولا يبقيها في ماله[1].

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٣٦٦ ـ ٣٦٧، وانظر فتاوى اللجنة الدائمة، الفتوى رقم (٦٧٧٠)، و(١٦٥٧٦).

وبعضهم يرىٰ أن علىٰ المرابي أن يخرج ما بيده من الربا إن كان قد قبضه وهو يعلم حكم اللَّه في ذلك.

وأما إذا كان قد قبضه وهو جاهل فهو له، ولا يجب عليه إخراجه(١).

وأما ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقد انتصر للقول الذي يرىٰ أن للمرابي ما بيده مما قبضه من الربا قبل التوبة؛ فإذا تاب كان ذلك المال الذي قبضه من الربا داخل تحت تصرفه؛ فلا يؤمر بِرَدِّ ما قبضه من الربا قبل التوبة، وإنما يدع ما بقي من الربا مما لم يقبضه(٢).

---

(١) انظر فتاوىٰ مهمة تتعلق بالزكاة من أجوبة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، أشرف علىٰ طبعه محمد بن شايع العبدالعزيز ص٢٥ ـ ٢٦.

(٢) يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلام له عن المقبوض بعقد فاسد يعتقد صاحبه صحته ثم ظهر له عدم الصحة ما نصه: «وأما إذا تحاكم المتعاقدان إلىٰ من يعلم بطلانها قبل القبض واستفتياه إذا تبين لهما الخطأ، فرجع عن الرأي الأول ـ فما كان قد قبض بالاعتقاد والأول أمضي، وإذا كان بقي في الذمة رأس المال وزيادة ربوية أسقطت الزيادة، ورجع إلىٰ رأس المال، ولم يجب علىٰ القابض رد ما قبضه قبل ذلك بالاعتقاد الأول» مجموع الفتاوىٰ ٢٩/ ٤١٣.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر في تفسير آيات الربا من سورة البقرة: «قوله: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي مما كان قبضه من الربا جعله له، ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قد قيل: الضمير يعود إلىٰ الشخص، وقيل: إلىٰ (ما) وبكل حال فالآية تقتضي أن أمره إلىٰ اللَّه لا إلىٰ الغريم الذي عليه الدين، بخلاف الباقي فإن للغريم أن يطلب إسقاطه».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨]: «أي ذروا ما بقي من الزيادة في ذمم الغرماء، وإن تبتم فلكم رأس المال من غير زيادة، فقد أمرهم بترك الزيادة وهي الربا، فيسقط عن ذمة الغريم، ولا يطالب بها، وهذا للغريم فيها حق الامتناع من أدائها، والمخاصمة علىٰ ذلك، وإبطال الحجة المكتتبة بها.

وأما ما كان قبضه فقد قال: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فاقتضىٰ أن السالف له للقابض، وأن أمره إلىٰ اللَّه وحده لا شريك له، ليس للغريم فيه أمر، وذلك أنه

لما جاءه موعظة من ربه فانتهىٰ كان مغفرة ذلك الذنب، والعقوبة عليه إلىٰ اللَّه، وهذا قد انتهىٰ في الظاهر، فله ما سلف ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إن علم من قلبه صحة التوبة غفر له، وإلا عاقبة، ثم قال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، فأمر بترك الباقي، ولم يأمر برد المقبوض.

وقال: ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ لا يشترط منها ما قبض.

وهذا الحكم ثابت في حق الكافر إذا عامل كافراً بالربا، وأسلما بعد القبض، وتحاكما إلينا ـ فإن ما قبضه يحكم له كسائر ما قبضه الكفار بالعقود التي يعتقدون حلها كما لو باع خمراً، وقبض ثمنها، ثم أسلم فإن ذلك يحل له كما قال النبي ﷺ: **«من أسلم علىٰ شيء فهو له»**

وأما المسلم فله ثلاثة أحوال: تارة يعتقد حل بعض الأنواع باجتهاد أو تقليد، وتارة يعامل بجهل، ولا يعلم أن ذلك ربا محرم، وتارة يقبض مع علمه بأن ذلك محرم.

أما الأول والثاني ففيه قولان إذا تبين له فيما بعد أن ذلك ربا محرم، قيل: يرد ما قبض كالغاصب، وقيل: لا يرده، وهو أصح؛ لأنه كان يعتقد أن ذلك حلال.

= والكلام فيما إذا كان مختلفا فيه مثل الحيل الربوية، فإذا كان الكافر إذا تاب يغفر له ما استحله، ويباح له ما قبضه ـ فالمسلم المتأول إذا تاب يغفر له ما استحله، ويباح له ما قبضه؛ لأن المسلم إذا تاب أولىٰ أن يغفر له إذا كان قد أخذ بأحد قولي العلماء في حل ذلك؛ فهو في تأويله أعذر من الكافر في تأويله.

وأما المسلم الجاهل فهو أبعد، لكن ينبغي أن يكون كذلك، فليس هو شراً من الكافر» تفسير آيات أشكلت ٢/ ٥٧٤ ـ ٥٧٨.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والشريعة أمر ونهي، فإذا كان حكم الأمر لا يثبت إلا بعد بلوغ الخطاب وكذلك النهي ـ فمن فعل شيئاً لم يعلم أنه محرم ثم علم لم يعاقب، وإذا عامل معاملات ربوية يعتقدها جائزة، وقبض منها ما قبض ثم جاءه موعظة من ربه فانتهىٰ ـ فله ما سلف» تفسير آيات أشكلت ٢/٥٨٢.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتوبة تتناول المسلم العاصي كما تتناول الكافر، ولا خلاف أنه لو عامله برباً يحرم بالإجماع لم يقبض منه شيئاً ثم تاب أن له رأس ماله؛ فالآية تناولته، وقد قال فيها: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾، ولم يأمر برد المقبوض، بل قال قبل ذلك: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾.

وهذا ـ وإن كان ملعوناً علىٰ ما أكله وأوكله ـ فإذا تاب غفر له، ثم المقبوض قد يكون اتجر فيه، وتقلب، وقد يكون أكله، ولم يبق منه شيء، وقد يكون باقياً، فإن كان قد ذهب، وجعل ديناً عليه كان في ذلك ضرر عظيم، وكان هذا منفراً عن التوبة. وهذا الغريم يكفيه إحساناً إليه إسقاطه ما بقي في ذمته، وهو برضاه أعطاه، وكلاهما ملعون.

ولو فرض أن رجلاً أمر رجلاً بإتلاف ماله وأتلفه لم يضمنه وإن كانا ظالمين، وكذلك إذا قال: اقتل عبدي، هذا هو الصحيح، وهو المنصوص عن أحمد وغيره؛ فكذلك هذا هو سلّط ذاك علىٰ أكل =

= هذا المال برضاه؛ فلا وجه لتضمينه ـ وإن كانا آثمين ـ كما لو أتلفه بفعله، إذ لا فرق بين أن يتلفه بأكله أو بإحراقه، بل أكله خير من إحراقه، فإن لم يضمنه في هذا بطريق الأولىٰ.

وأيضاً فكثير من العلماء يقولون: إن السارق لا يغرم؛ لئلا يجتمع عليه عقوبتان؛ من أن الحد حق للّه، والمال حق لآدمي.

وهذا أولىٰ؛ لئلا يجتمع علىٰ المربي عقوبتان: إسقاط ما بقي، والمطالبة بما أكل.

وإذا كان عين المال باقياً فهو لم يقبضه بغير اختيار صاحبه كالسارق، والغاصب، بل قبضه باتفاقهما، ورضاهما بعقد من العقود، وهو لو كان كافراً ثم أسلم لم يرده، وقد قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾. تفسير آيات أشكلت ٢/٥٨٨ ـ ٥٩٠.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الذي لا ريب فيه عندنا فهو ما قبضه بتأويل، أو جهل ـ فهنا له ما سلف بلا ريب، كما دل عليه الكتاب والسنة والاعتبار.

وأما مع العلم بالتحريم فيحتاج إلىٰ نظر؛ فإنه قد يقال: طرد هذا أن من اكتسب مالاً من ثمن خمر مع علمه بالتحريم فله ما سلف، وكذلك كل من كسب مالاً محرماً ثم تاب إذا كان برضا الدافع، ويلزم مثل ذلك في مهر البغي، وحلوان الكاهن.

وهذا ليس ببعيد عن أصول الشريعة؛ فإنها تفرق بين التائب وغير التائب كما في قوله: «فمن جاءه موعظة من ربه فانتهىٰ فله ما سلف» وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. تفسير آيات أشكلت ٢/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن تدبر أصول الشرع علم أنه يتلطف بالناس في التوبة بكل طريق» تفسير آيات أشكلت ٢/ ٥٩٥.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الربا فإنه قبض بربا صاحبه، واللّه ـ سبحانه ـ =

۞ ثالثاً: اعتزازه بالسلف الصالح، وتعظيمه لأئمة الإسلام:

وهذا ظاهرٌ جداً في إبرازه لأقوال السلف، وعنايته وحفاوته بها.

كما يتجلىٰ في اعتذاره لهم، وحرصه علىٰ توجيه أقوالهم[1].

والكلام في ذلك أشهر من أن يذكر.

۞ رابعاً: اعتداده بتاريخ الأمة المجيد، وذبُّه عن ما ألصق به من تهم وأباطيل.

۞ خامساً: عنايته البالغة بالنبوات:

وذلك من خلال تعظيمه لمقام النبوة، وإيضاحه لآثارها،

= يقول: «فمن جاءه موعظة من ربه فانتهىٰ فله ما سلف وأمره إلىٰ اللّه» ولم يقل: فمن أسلم، ولا من تبين له التحريم بل قال: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾، والموعظة تكون لمن علم التحريم أعظم مما تكون لمن لم يعلمه، قال اللّه ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور].

وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء].

وأيضاً فهذا وسط بين الغريمين؛ فإن الغريم المدين ينهىٰ أن يسقط عنه الزيادة، وهذا عنده غاية السعادة، وذاك لا ينهىٰ أن يبقىٰ له ما قبض، وقد عفا اللّه عما مضىٰ.

وأما تكليف هذا إعادة القرض فذلك مثل مطالبة الغريم بما بقي، وكلاهما فيه شطط، وتسلط، وشدة عظيمة» تفسير آيات أشكلت ٢/ ٥٩٦.

(١) انظر علىٰ سبيل المثال كتابه: رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

وعظم الحاجة إليها، وبيانه المنهج الصحيح الذي يجب سلوكه في دراستها، وتقريره لما كان عليه الأنبياء عليهم السلام من الكمالات، وما جرىٰ مجرىٰ ذلك.

وكذلك عنايته بمعجزات الأنبياء، وما يتعلق بها من خوارق العادات الأخرىٰ: كرامات الأولياء، والأحوال الشيطانية؛ حيث تناولها بالبحث الواسع، والدراسة العميقة، والتحليل الدقيق، سواء ما أفرده من التأليف في هذا الموضوع، كما في صنيعه في (النبوات) و(الجواب الصحيح) و(شرح الأصبهانية) أو ما خصص له من المباحث في سائر مصنفاته؛ فكان ما حرره في ذلك الشأن تنقيحاً للمناهج التي تسلك في إثبات النبوة، وتمييزاً لما يصح أن يكون دليلاً، وما لا يصح، وتوضيحاً للطرائق الصحيحة في الاستدلال المطلق من النقل الصحيح، والعقل الصريح.

ولئن كانت عنايته بباب النبوات عموماً كبيرة عظيمة ـ فإن عنايته بنبوة نبينا محمد ﷺ أكبر، وأعظم، وأجلّ.

ولئن بلغت عناية العلماء بنبوة نبينا محمد ﷺ مبلغاً عظيماً ـ فإن عنايته بها لا تكاد تضارَع من حيث كثرتها، وتنوع مادتها، وعمق دراستها، والغوص في أسرارها(١).

هذا وسيأتي في غضون الفقرات التالية أمثلة، ونماذج من هذا القبيل.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في رسالة (موقف ابن تيمية من خوارق العادات والمخالفين فيها).

۞ سادساً: عرضه للكثير من الكتب، والمصنفات، وبيانه لمناهج أصحابها، وذكره ما فيها من الميزات، وما عليها من المآخذ، وذلك في شتى الفنون:

وسواء ما كان منها ما يخصه بالرد والمناقشة، كمناقشته لكتاب (منهاج الكرامة) لابن المطهر الحلي، الذي خَصَّص للرد عليه كتابَه (منهاج السنة النبوية).

وكما في كتابه (شرح الأصبهانية) الذي شرح فيه كتاب (العقيدة الأصبهانية) لمحمد بن محمود الأصبهاني.

وكما في نقده لكتاب (البيان) للباقلاني، وذلك في كتابه (النبوات) وغيرها مما جاء من هذا القبيل.

وكما في نقده للشاذلي في حزبيه.

أو ما كان من عرضه للكتب في سائر كتبه حال مناقشاته لمسائل معينة، وذلك كثير جداً.

بل قَلَّ أن يخلو مصنف من مصنفاته من ذلك.

أما تعريفه بكتب السنة، وكتب التفسير، وكتب الفقه، وكتب التواريخ، والمغازي، والسير، أو كتب السحر، والطلاسم، ونحوها، وبيان مناهج مؤلفيها، والمقارنة بين الكتب في شتىٰ الفنون ـ فحدِّث ولا حرج.

وكذلك الحال بالنسبة لكتب الطوائف، والفرق، والمقالات.

بل إن هناك كتباً نادرة لا تكاد تسمع أو تقرأ عنها إلا من خلال ذكره لها.

ولو وضعت رسالة خاصة في دراسة منهجه في نقد الكتب من خلال آثاره ـ لكانت مادة صالحة يُخرج منها بفائدة كبيرة.

سابعاً: عرضه للكثير من الأعلام:

سواء كانوا من أعلام الإسلام، أو السنة، أو أعلام الفلاسفة، أو أعلام أهل الكتاب، أو المتكلمين، أو المؤلفين، أو سائر الطوائف والملل، مع بيان آرائه في هؤلاء حسب ما يستدعيه المقام.

ولو انبرىٰ باحثٌ لبيان آرائه في الأعلام الواردِ ذكرُهم في مصنفاته لخرج بمادة علمية ضخمة.

والشواهد والأمثلة من آثاره كثيرة جداً.

ويشهد لذلك ما في سائر مصنفاته كالدرء، والمنهاج، والنبوات، والصفدية، والأصبهانية، وغيرها.

ثامناً: عنايته بالمواضع، والمسالك، والممالك:

وما يتصل بعلم الجغرافيا، وذلك في كثير من مصنفاته؛ سواء عند ذكره لمواطن الشعوب، أو الطوائف، أو الأشخاص، أو نحوهم[١].

تاسعاً: بحثه في أسرار الاجتماع، وطبائع الشعوب، وما يمتازون به:

ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما جاء في الجواب الصحيح في

(١) انظر الجواب الصحيح ١٥٨/٥، و١٩٩، و٢٠٠ ـ ٢٠٥، و٢٢٢.

معرض رده على دعوى أن رسالة محمد ﷺ مقصورة على العرب دون غيرهم؛ حيث قال بعد أن بيَّن عموم رسالته ﷺ: «فبلغ ملك أمته طرفي العمارة شرقاً وغرباً، وانتشرت دعوته في وسط الأرض كالإقليم الثالث، والرابع، والخامس؛ لأنهم أكمل عقولاً، وأخلاقاً، وأعدل أمزجة.

بخلاف طرفي الجنوب والشمال؛ فإن هؤلاء نقصت عقولهم، وأخلاقهم، وانحرفت أمزجتهم.

أما طرف الجنوب فإنه؛ لقوة الحرارة احترقت أخلاطهم، ما سودت ألوانهم، وتجعدت شعورهم.

وأما أهل طرف الشمال؛ فَلِقُوَّة البرد لم تنضج أخلاطهم، بل حارت فجَّة، فأفرطوا في سبوطة الشَّعْر، والبياض البارد الذي لا يستحسن»[١].

ثم يقول بعد ذلك معللاً ظهور الإسلام في وسط الأرض: «ولهذا لما ظهر الإسلام غلب أهله على وسط المعمورة، وهم أعدل بني آدم، وأكملهم، والنصارى الذي تربوا تحت ذمة المسلمين أكمل من غيرهم من النصارى عقولاً وأخلاقاً.

وأما النصارى المحاربون للمسلمين الخارجون عن ذمتهم من أهل الجنوب والشمال فهم أنقص عقولاً.

ولما فيهم من نقص العقول والأخلاق ظهرت فيهم النصرانية دون الإسلام»[٢].

---

(١) الجواب الصحيح ١/١٦٤ ـ ١٦٥.

(٢) الجواب الصحيح ١/١٦٥.

۞ عاشراً: إيراده شُبهَ الخصوم بنصِّها، أو فحواها دون إخلال، أو تزيُّد:

أو ظلم، أو اعتساف؛ إذ كان مضرب المثل في العدل، والأمانة العلمية: وهذا ظاهر في كتبه ظهوراً بيِّناً، كما في صنيعه في كتابه (النبوات) فهو حافلٌ بالنقول عن أئمة الأشاعرة، وخصوصاً الباقلاني في كتابه (البيان) حيث نقل عنه بكثرة، وناقش تلك الأقوال، ولم يتزيد، أو يُخِل بالنقل، أو يُحمِّل النقل ما لم يحتمل[1].

وقل مثل ذلك في كتابه (منهاج الكرامة) لابن المطهر الحلي حيث ناقشه ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة النبوية في الرد علىٰ الشيعة والقدرية) مناقشة مستفيضة، ونقل عنه نقولاً كثيرة بنصِّها دون إخلال، أو تزيُّد[2].

۞ حادي عشر: مقارنته كلام المخالفين ببعض، والإفادة عن ردود بعضهم على بعض:

كما في مناقشاته للقدرية، والجبرية، والخوارج، والمرجئة، ونحوهم.

۞ ثاني عشر: إيضاحه لمدى بعد المخالفين من الإسلام، والسنة، أو قربهم منهما:

كما في صنيعه في خاتمة الرسالة التدمرية؛ حيث عقد

(١) انظر النبوات ١/٣١٨، و٣٢٠ ـ ٣٢٢، و٢/١٠٦٤.

(٢) انظر منهاج السنة ٨/١٠٢ ـ ١٠٣، و٨/١٥٧ ـ ١٥٨، و٨/١٩٩.

مقارنة بين الطوائف، والفرق، وبَيَّن ما تتميز به كل فرقة عن الأخرىٰ بكلام محرَّر نفيس قَلَّ أن يوجد عند غيره.

ومن ذلك قوله: «فالمعتزلة، ونحوهم من القدرية الذين أنكروا القدر ـ هم في تعظيم الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد ـ خيرٌ من هؤلاء الجبرية القدرية الذين يُعرضون عن الشرع، والأمر، والنهي.

والصوفية هم في القدر، ومشاهد توحيد الربوبية خيرٌ من المعتزلة، ولكن فيهم من فيه نوع بِدَعٍ مع إعراض عن بعض الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، حتىٰ يجعلوا الغاية هي مشاهدة توحيد الربوبية، والفناء في ذلك، فيصيرون ـ أيضاً ـ معتزلين لجماعة المسلمين؛ فهم معتزلة من هذا الوجه.

وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعة شرًّا من بدعة أولئك المعتزلة.

وكلتا الطائفتين نشأت من البصرة»[(١)].

❁ ثالث عشر: مقارنته بين الأديان، وبيانه الفروق بينها:

وهذه الفقرة قريبة من الفقرة الماضية؛ حيث تراه يعقد المقارنات بين الأديان، ويبين من خلال ذلك خلاصة ما تمتاز به ديانة عن أخرىٰ، بكلام محرر نفيس ناتج عن دراسة مستفيضة، وفهم عميق لتلك الديانات.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما جاء في فصلٍ عقده في الجواب

---

(١) انظر التدمرية ص٢٣٥.

الصحيح مقارناً فيه بين اليهود والنصارىٰ مبيناً فيه تطرف أهل الكتاب، ووسطية المسلمين.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك الفصل النفيس: «ومن تدبر حال اليهود والنصارىٰ مع المسلمين ـ وجد اليهود والنصارىٰ متقابلين؛ هؤلاء في طرف ضلال، وهؤلاء في طرفٍ يقابله، والمسلمون هم الوسط.

وذلك في التوحيد، والأنبياء، والشرائع، والحلال، والحرام، والأخلاق، وغير ذلك»[(١)].

ثم شرع في تفصيل ذلك بكلام يطول ذكره، ويعزُّ نظيره، موضحاً ذلك بالأمثلة، والأدلة.

ثم ختم ذلك الفصل بقوله: «وقد وصف اللَّه أمة محمد ﷺ بأنهم أنفع الأمم للخلق، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

ففي أمة محمد ﷺ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد ما لم يوجد مثله في الأمتين»[(٢)].

وله كلام في الجواب الصحيح يقارن فيه بين النصرانية والمجوسية، يبيِّن ما بينهما من التداخل، ويقرر فيه أن النسب

---

(١) الجواب الصحيح ٣/١٠٥.
(٢) الجواب الصحيح ٣/١٠٦.

بين النصارىٰ والمجوس وسائر المشركين نسب معروف[1].

وكما يقارن بين الأديان، ويبين وسطية الإسلام بينهما يقارن كذلك بين الفرق، ويبين وسطية أهل السنة بينها.

ومن ذلك قوله: «فهم ـ أي أهل السنة ـ وسط في باب صفات اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة.

وهم وسط بين باب أفعال اللّه بين القدرية والجبرية.

وفي باب وعيد اللّه بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم.

وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية.

وفي أصحاب رسول اللّه ﷺ بين الروافض والخوارج»[2].

۞ رابع عشر: تحذيره البالغ من التهاون بتكفير الأعيان:

وذلك أثر من آثار سماحته، وحرصه علىٰ وَحْدَة المسلمين، وانتظام جامعتهم.

وهذه المسألة من أعظم ما تناوله ابن تيمية، وحرر فيه القول بتفصيل، وإيضاح.

ومع ذلك فهي أكثر ما حصل فيه التجني عليه مِنْ قِبَلِ مَنْ لا يفهم مراده، أو من يريد الطعن فيه، أو الجهل عليه.

---

(١) انظر الجواب الصحيح ٢/١١١، و٥/٢٣.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٣/١٤١.

والناظر ـ بعدل وإنصاف ـ إلىٰ ما قرره في ذلك الشأن يتجلىٰ له مدىٰ دقته، وتحريه، ودورانه مع نصوص الشرع، وتحذيره البالغ من التهاون، والتسرع إلىٰ تكفير المعين من المسلمين.

ولعل أكبر أسباب التجني عليه في تلك المسألة ـ مسألة التكفير ـ ورميه بأنه يكفر المسلمين هو عدم التفريق بين التكفير المطلق، وتكفير المعيَّن؛ **فالتكفير المطلق** هو التكفير بالعموم، بحيث يقال: من قال كذا، أو فعل كذا من الأفعال التي حكم عليها الشارع بالكفر ـ فهو كافر، أو فَقَدْ كفر.

وتكفير المعين: أن يقال: إن فلاناً الذي قال: كذا، أو فعل كذا ـ كافر بعينه.

فالأول ـ وهو التكفير المطلق ـ لا بأس به، بل يجب القول بعمومه، وإطلاقه.

وأما تكفير المعين، والحكم عليه بأنه كافر فلا يجوز ذلك إلا إذا اجتمعت في حقه الشروط، وانتفت عنه الموانع؛ فعندئذٍ تقوم عليه الحجة التي يُكَفَّر تاركُها.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين ـ وإن أخطأ وغلط ـ حتىٰ تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة.

ومن ثبت إسلامه بيقين لم يَزُلْ عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة»[1].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ الكيلانية ١٢/٢٦٦.

ثم يقول: «إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين.

وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع.

يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه»[١].

ويَذْكُرُ ابنُ تيمية بعضَ الأعذارِ الواردةِ علىٰ المعين، فيقول: «الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تَبْلُغْهُ النصوصُ الموجبةُ لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عَرَضَتْ له شبهاتٌ يَعْذُرُه اللَّه بها؛ فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن اللَّه يغفر له خطاياه كائناً من كان، سواء في المسائل النظرية، أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام»[٢].

وهكذا الفرق بين التكفير العام المطلق، والحكم علىٰ المعين بأنه كافر؛ فالكفر من الوعيد الذي نطلق القول به، ولكن لا نحكم علىٰ المعين بدخوله في ذلك المطلق العام حتىٰ يقوم فيه المُقتضي الذي لا معارض له.

هذا وقد اعتنىٰ ابن تيمية في موانع التكفير، وهي الصوارف التي تمنع من الحكم علىٰ المعين بالكفر.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ الكيلانية ١٢/٤٨٧ ـ ٤٨٨، وانظر نواقض الإيمان القولية والعملية ص٥٤.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٣/٣٢٦.

والتكفير هو الحكم بالكفر.

والتكفير ينتفي بانتفاء شيء من الشروط، أو وجود شيء من الموانع.

وموانع التكفير تكاد تنحصر في ستة موانع، وهي الجهل، والخطأ، والإكراه، والتأويل، والتقليد، والعجز.

وبعضهم يدخل بعض هذه الموانع في بعض[١].

فهذه أوضح، وأشهر موانع التكفير، ويدخل تحتها من التفاصيل ما يطول ذكره.

وقد كان ابن تيمية كثيراً ما يستشهد في كلامه علىٰ موانع التكفير بما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قال رجل لم يعمل خيراً قط لأهله ـ وفي رواية: أسرف رجل علىٰ نفسه فلما حضره الموت أوصىٰ بنيه ـ إذا مات فحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر؛ فو اللَّه لئن قدر اللَّه عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين؛ فلما مات فعلوا ما أمرهم، فأمر اللَّه البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم؛ فغفر له»[٢].

---

(١) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية د. عبدالعزيز العبداللطيف ص٥٥ ـ ٩٢، ونواقض الإيمان الاعتقادية د. محمد الوهيبي ١/٢٢٣ ـ ٣١٣، و٢/١ ـ ٥٥، ومنهج ابن تيمية في مسألة التكفير د. عبدالمجيد المشعبي ١/٢٢٩ ـ ٢٧٠.

(٢) البخاري (٧٥٠٦)، ومسلم (٢٧٥٦).

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكنت دائماً أذكر هذا الحديث.. فهذا رجل شك في قدرة اللَّه، وفي إعادته إذا ذُرِيَ، بل اعتقد أنه لا يعاد.

وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف اللَّه أن يعاقبه؛ فغفر له بذلك»[1].

ويفصل ابن تيمية ذلك بقوله: «فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة اللَّه ـ تعالىٰ ـ علىٰ إعادة ابن آدم بعدما أحرق، وذُرِي، وعلىٰ أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك، وهذان أصلان عظيمان:

أحدهما: متعلق باللَّه ـ تعالىٰ ـ: وهو الإيمان بأنه علىٰ كل شيء قدير.

والثاني: متعلق باليوم الآخر: وهو الإيمان بأن اللَّه يعيد هذا الميت، ويجزيه علىٰ أعماله.

ومع هذا فلما كان مؤمناً باللَّه في الجملة، ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة، وهو أن اللَّه يثيب ويعاقب بعد الموت، وقد عمل عملاً صالحاً وهو خوفه من اللَّه أن يعاقبه علىٰ ذنوبه ـ غفر اللَّه له بما كان منه من الإيمان باللَّه، واليوم الآخر، والعمل الصالح»[2].

ويضيف ابن تيمية في بيان هذا الحديث قائلاً: «فإن هذا

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣/٢٣١، وانظر مجموع الفتاوىٰ ٢٨/٥٠١، ١١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠، وانظر الفِصَل لابن حزم ٣/٢٩٦.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٢/٤٩١، انظر السبعينية لابن تيمية ص٣٤٢.

الرجل جهل قدرة اللَّه علىٰ إعادته، ورجا أن لا يعيده بجهل ما أخبر به من الإعادة.

ومع هذا لما كان مؤمناً باللَّه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، خائفاً من عذابه، وكان جهله بذلك جهلاً لم تقم عليه الحجة التي توجب كفر مثله ـ غفر اللَّه له.

ومثل هذا كثير في المسلمين، والنبي ﷺ كان يخبر بأخبار الأولين؛ ليكون ذلك عبرة لهذه الأمة»[(١)].

وله في هذا الباب أقوال وتفصيلات يطول ذكرها، ويتبين من خلالها مدىٰ عنايته في هذا الباب، وخطأ من يرميه بالتكفير.

ومن ذلك قوله: «وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ ـ لم يُكَفَّر، بل يُغْفَرُ له خطؤه.

ومن تبين له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الحق، واتبع غير سبيل المؤمنين ـ فهو كافر.

ومن اتبع هواه، وقصر في طلب الحق، وتكلم بلا علم ـ فهو عاصٍ مذنبٌ، قد يكون له حسنات ترجح علىٰ سيئاته»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا مع أني دائماً ـ ومن جالسني يعلم ذلك مني ـ

---

(١) الصفدية ١/٢٣٣، وانظر مدارج السالكين ١/٣٣٨ ـ ٣٣٩، وإيثار الحق علىٰ الخلق لابن الوزير ص٤٣٦، ومجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٣/١١، ومجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد ابن عثيمين ٣/٦٠٥.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٢/١٨٠.

أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب مُعَيَّنٌ إلىٰ تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً مرة، وفاسقاً مرة، وعاصياً أخرىٰ.

وإني أقرر أن اللَّه قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية.

وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحدٌ منهم علىٰ أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية»[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس لأحد أن يُكَفِّر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط، حتىٰ تقام عليه الحُجة، وتبين له المَحَجَّة.

ومن ثبت إسلامه بيقين لم يَزُلْ ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة»[٢].

ويقول في موضع آخر مبيناً أن التأويل مانع من موانع إلحاق التكفير بالمعين: «والتكفير هو من الوعيد؛ فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ فقد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتىٰ تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣/٢٢٩.
(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٢/٤٦٦.
(٣) مجموع الفتاوىٰ ٣/٢٣١.

وقال ـ أيضاً ـ: «إن القول قد يكون كفراً كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن اللَّه لا يتكلم، ولا يُرَىٰ في الآخرة.

ولكن قد يخفىٰ علىٰ بعض الناس أنه كفر؛ فيطلق القول بتكفير القائل، كما قال السلف: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: إن اللَّه لا يرىٰ في الآخرة فهو كافر، ولا يكفر الشخص المعين حتىٰ تقوم عليه الحجة ـ كما تقدم ـ كمن جحد وجوب الصلاة، والزكاة، واستحل الخمر والزنا وتأول؛ فإن ظهور تلك الأحكام بين المسلمين أعظم من ظهور هذه، فإن كان المتأول المخطئ في تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان له واستتابته ـ كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر[(١)] ـ ففي غير ذلك أولىٰ وأحرىٰ»[(٢)].

ويقول: «وكذلك التكفير حق اللَّه، فلا يكفر إلا من كفره اللَّه ورسوله.

وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين، وجواز قتله موقوف علىٰ أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كلُّ مَنْ جهل شيئاً من الدين يكفر، ولهذا لما استحل طائفة من

---

(١) كقدامة بن مظعون وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ روىٰ ذلك عبد الرزاق في المصنف ٩/ ٢٤٠، ٢٤٢، وابن أبي شيبة ٩/ ٥٤٦، والبيهقي في سننه ٨/١٦، وأخرجها أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وابن المنذر كما في الدر المنثور ٣/١٦١، ١٧٤، وابن السكن كما في الإصابة ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩، والجوزجاني كما في منهاج السنة ٦/ ٨٤، وفي بعض الروايات ذكر قدامة، وبعضها لم يذكر.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٧/٦١٩.

الصحابة والتابعين كقدامة بن مظعون وأصحابه شرب الخمر، وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحاً على ما فهموه من آية المائدة[(١)]، واتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون، فإن أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداءً؛ لأجل الشبهة التي عرضت لهم حتى يتبين لهم الحق»[(٢)].

وبالجملة فكلامه في هذه المسألة يطول، وإنما المقصود الإشارة إلى منهجه فيها[(٣)].

۞ خامس عشر: أخذه بالإيجاز في بعض الأحيان:

إذ كثيراً ما يكتفي بالإشارة إلى موضع آخر بسط فيه الكلام، أو يكتفي بإيراد القول، ويشير إلى أن تصوره كافٍ في رده، وأن فساده يغني عن إفساده.

۞ سادس عشر: الاستطراد:

وهو سمةٌ بارزةٌ في مؤلَّفاته، ولا يعني ذلك أن في استطراداته حشواً لا داعي له، بل إن الباحث في آثاره ليجدُ في تلك الاستطرادات فوائد يعزُّ وجودها في غير تلك المواطن.

ولو فهرست كتبه فهرسة دقيقة لَوُجِد فيها العجب العجاب.

---

(١) والآية هي قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا...﴾ [المائدة: ٩٣] الآية.

(٢) الرد على البكري ٢٥٨.

(٣) انظر تفصيل ذلك في كتاب: منهج ابن تيمية في مسألة التكفير.

۞ سابع عشر: سرعة النفاذ من موضوع إلى موضوع:

والانتقال من مسألة إلىٰ أخرىٰ، ومن الرد علىٰ طائفة ثم الانتقال إلىٰ طائفة أخرىٰ، دون تأثير علىٰ المسألة الأصل.

وهذا ظاهر في آثاره خصوصاً ما كان منها مشتملاً علىٰ مجلدات كالجواب الصحيح، ومنهاج السنة.

۞ ثامن عشر: قوة الملاحظة، وقراءة ما بين السطور:

وهذا ظاهرٌ في كثير من استنباطاته، واستدراكاته، خصوصاً في ردوده علىٰ المخالفين ـ كما سيأتي ذكر لشيء من ذلك في فقرات تالية ـ.

۞ تاسع عشر: اطِّراد المنهج:

فكلامه ـ في الأغلب ـ يفسر بعضه بعضاً؛ فلا ترىٰ كلامه في موضع يختلف عنه في موضع آخر، ولا تجد تأليفه في بواكير حياته العلمية تناقض أواخرها، إلا ما اختلف فيه اجتهاده كغيره من العلماء.

۞ عشرون: شمولية الثقافة، وحسن التوظيف للمعارف، واستجماع ذلك لخدمة الغرض الذي يرمي إليه:

فترىٰ في غضون كلامه في شتىٰ المواضع إشارات إلىٰ علومٍ شتىٰ، ومناهج مختلفة، فترىٰ الإشارة المتعلقة بعلم التفسير، أو الحديث، أو اللغة، أو التاريخ، أو الأدلة العقلية، أو الواقعية، ونحو ذلك مما ورد وسيرد أمثلة عليه.

۞ واحد وعشرون: حرصه على بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ودرء ما يتوهم بينهما من التعارض:

وهذا ظاهر في سائر مصنفاته.

بل إنه بنى كتابه (درء تعارض العقل والنقل) على هذه القاعدة العظيمة.

كما أن ذلك ظاهر في أغلب ردوده، ومناقشاته، وإبطاله كلام الخصوم؛ حيث ينقضها بالأدلة النقلية، والعقلية.

ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ ما جاء في مناقشاته للشيعة في شأن الكرامة؛ فابن تيمية رحمه الله يقرر كثيراً أن الشيعة يخالفون دلالة النقل الصحيح، والعقل الصريح، وذلك فيما ينقلون، ويعتقدون؛ فيخالفون بذلك: المنقول، والمعقول، ودلالة الحس، والواقع، والتاريخ.

يقول رحمه الله في مقدمة (منهاج السنة) مقرراً هذا المعنى: «والقوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات»[1].

ثم يوضح ذلك بقوله: «يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل، ويكذِّبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر أعظمَ تواترٍ في الأمة جيلاً بعد جيل، ولا يميزون في نقلة العلم، ورواة الأحاديث والأخبار بين المعروف بالكذب، أو الغلط، أو الجهل بما ينقل، وبين العدل

---

(١) منهاج السنة ١/٨.

الحافظ الضابط المعروف بالعلم بالآثار»[١].

ثم بيَّن أن عمدتهم في ذلك: التقليدُ، وإن كانوا يظنون أن ما هم عليه قائم على البرهان، ويوضح أنهم من أجهل الطوائف بالنظريات، وأنهم معروفون عند عامة أهل العلم والدين أنهم من أجهل الطوائف الداخِلِين في الإسلام[٢].

ويقرر في موضع آخر أنهم أقل الناس معرفة وعناية بالإسناد، وسائر الأدلة الشرعية والعقلية؛ إذ كانوا لا يصدِّقون إلا بما يوافق أهواءهم، وعلامةُ كذبه عندهم أنه يخالف هواهم[٣].

وإذا كان ابن تيمية يقرر هذا نظرياً فهو ـ كذلك ـ يضرب عليه أمثلة تؤكد ما قرره وأصَّله؛ إذ كثيراً ما يورد أمثلة من الكرامات المزعومة عند الشيعة، ويبين من خلالها ما تشتمل عليه من مخالفات للنقل، كاشتمالها على الغلو، ومصادمة الأدلة الشرعية، وعلى تحريم الحلال.

كما يبيِّن ـ أيضاً ـ ما تشتمل عليه من مخالفات للعقل؛ كتضمنِها مخالفةَ الواقع، واشتمالِها على ما ليس كرامةً لِعَليٍّ، ولا مدحاً له، ولا اختصاصاً مع أنهم أوردوها في مقام المبالغة في إطرائه، وعَدِّ ذلك من قبيل الكرامات التي اختص بها.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في مناقشته لابن المطهر في

---

(١) منهاج السنة ١/٨.
(٢) انظر منهاج السنة ١/٩.
(٣) انظر منهاج السنة ٧/٣٧.

قصة علي مع الراهب: فقد ذكر ابن المطهر في (منهاج الكرامة) قصةً أراد من خلالها أن يبين أنها من جملة الكرامات المنسوبة إلىٰ علي رضي الله عنه.

قال ابن المطهر: «السابع: أنه[1] لما توجه إلىٰ صِفِّيْن لَحِقَ أصحابَه عطشٌ شديدٌ، فَعَدَلَ بهم قليلاً، فَلاحَ لهم دَيْرٌ[2]؛ فصاحوا بساكنه، فسألوه عن الماء، فقال: بيني وبينه أكثر من فرسخين، ولولا أني آتىٰ بما يكفيني كل شهر علىٰ التقصير[3] لتلفت عطشاً، فأشار أمير المؤمنين إلىٰ مكان قريب من الدَّير، وأمر بكشفه، فوجدوا صخرة عظيمة، فعجزوا عن إزالتها، فقلعها وحده، ثم شربوا الماء، فنزل إليهم الراهب، وقال له: أنت نبي مرسل، أو ملَك مقرب؟

فقال: لا، ولكني وصي رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأسلم علىٰ يده، وقال: إن هذا الدير بُني علىٰ طلبِ قالعِ هذه الصخرة، ومخرج الماء من تحتها، وقد مضىٰ جماعة قبلي لم يدركوه.

وكان الراهب من جملة من استشهد معه، ونظم القصة السيد الحميري في قصيدته»[4].

---

(١) يعني علياً رضي الله عنه.

(٢) الدَّيْر: خان النصارىٰ، وجمعه: أديار، وأديرة، وصاحبه الذي يسكنه: ديار وديراني، ويقال لمن رأس أصحابه: رأس الدير. انظر لسان العرب ٤/٣٠١، والقاموس ص٥٠٦.

(٣) في منهاج السنة ٨/١٥٧ علىٰ التقتير.

(٤) منهاج الكرامة ص١٧٠ ـ ١٧١.

ثم تعقبه ابن تيمية مبيناً أن هذا الخبر من جنس أمثاله من الأكاذيب التي يظنها الجهال من أعظم مناقب عليٍّ رضي الله عنه.

ثم بين مخالفة ذلك للعقل، فقال: «وليست كذلك؛ بل الذي وضع هذه[1] كان جاهلاً بفضل علي، وبما يستحقه من الممادح»[2].

ثم علل لذلك بقوله: «فإن الذي فيه من المنقبة أنه أشار إلىٰ صخرة، فوجدوا تحتها الماء، وأنه قلعها.

ومثل ذلك يجري لخلق كثيرٍ عليٌّ رضي الله عنه أفضل منهم»[3].

ثم يقرر أنه إذا جرىٰ علىٰ يد بعض الصالحين كان نعمة من اللّه وكرامة.

ولكن ذلك يقع كثيراً لمن ليس من الصالحين؛ فليس في ذلك ـ إذاً ـ منقبة لعلي رضي الله عنه[4].

ثم يبيِّن ما اشتملت عليه تلك الحكاية من المخالفة للشرع، فيقول: «وأما سائر ما فيها[5] مثل قوله: (إن هذا الدَّير بني علىٰ طالب هذه[6] الصخرة، ومخرج الماء من تحتها) فليس هذا من

(١) يعني: هذه الحكاية.
(٢) منهاج السنة ٨/١٥٨.
(٣) منهاج السنة ٨/١٥٨.
(٤) انظر منهاج السنة ٨/١٥٨ ـ ١٥٩.
(٥) يعني: سائر ما في الحكاية.
(٦) هكذا في منهاج السنة، أما ما في منهاج الكرامة ـ كما مر ـ فهي هكذا: «علىٰ طلب قالع هذه الصخرة».

دين المسلمين، وإنما تبنىٰ الكنائس والدِّيارات، والصوامع علىٰ أسماء المُقْتَدِيَة بِسِيَر النصارىٰ.

فأما المسلمون فلا يبنون معابدهم - وهي المساجد التي أذن اللَّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه - إلا علىٰ اسم اللَّه، لا علىٰ اسم مخلوق»[(١)].

ثم **يُعْقِبُ ذلك بِرَدٍّ شَرعِيٍّ عقلي علىٰ** تلك الحكاية، وذلك بقوله: «وقول الراهب: (أنت نبي مرسل، أو ملك مقرب) يدل علىٰ جهله، وأنه من أضل الخلق؛ فإن الملائكة لا تشرب الماء، ولا تحتاج إلىٰ أن تستخرجه من تحت صخرة!»[(٢)].

إلىٰ أن قال: «ومحمد ﷺ لا نبي بعده، ومعلوم أن هذا الراهب قد سمع بخبر المسلمين الذين فتحوا تلك المواضع؛ فإن كان يُجَوِّزُ أن يُبْعَثَ رسولٌ بعد المسيح فمحمد هو الرسول، ومعجزاته ظاهرة وباطنة، فإن صَدَّقه فقد علم أنه لا نبي بعده، وإن لم يصدِّقه فكيف يعتقد في غيره أنه نبي مرسل بمجرد دلالته علىٰ ماءٍ تحت صخرة، أو يكون الدّير بُني علىٰ اسمه، وهم يبنون الدّيارات علىٰ أسماء خلق كثير ليسوا من الملائكة ولا الرسل؟!»[(٣)].

ثم يشير **بعد ذلك** إلىٰ كذب القول المنسوب إلىٰ علي: (ولكني رسول اللَّه وصي ﷺ) وأن علياً لم يَدَّعِ ذلك قط لا في

---

(١) منهاج السنة ٨/١٥٩.
(٢) منهاج السنة ٨/١٥٩.
(٣) منهاج السنة ٨/١٥٩.

خلافته، ولا في خلافة الثلاثة، ولا في ليالي صِفِّين.

ويدلل لذلك بواقع حال عليٍّ رضي الله عنه حيث كانت له مع منازعيه مناظراتٌ ومقامات؛ فما ادعىٰ ذلك قط، ولا ادعاه له أحد، وقد حَكَّم الحكمين، وأرسل ابن عباس لمناظرة الخوارج، فذكروا فضائله، وسوابقه، ومناقبه، ولم يذكر أحدٌ منهم أنه وَصِيُّ رسول اللَّه ﷺ.

وختم تعقبه بأن هذا لو كان صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي علىٰ نقله، فلما كان الأمر كذلك عُلِمَ أنه من جملة ما افتراه الكاذبون(١).

❁ ثانٍ وعشرون: إشرابُه الردودَ معانيَ العزةِ، والكرامةِ، والثقة بالدين:

والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، مبثوثة في غضون الجواب الصحيح، والنبوات، والصفدية، وقد مضىٰ شيء من هذا القبيل.

ومن ذلك ما جاء في الصفدية في معرض مناقشته للفلاسفة، وردِّه عليهم في إنكارهم للمعجزات، وادعائهم أن معجزات الأنبياء قوىٰ نفسانية؛ حيث ذكر بالتفصيل تسعة أوجه للرد علىٰ الفلاسفة، بيَّن من خلالها بطلان قولهم، وأثبت صحة وقوع المعجزات، وضرب أمثلة حسيَّة علىٰ أن المعجزات خارجة عن قوىٰ نفوس البشر.

---

(١) انظر منهاج السنة ٨/ ١٦٠، و٨/ ١٦٩ ـ ١٧٦، و٨/ ١٩٩ ـ ٢٠١.

ومن تلك الأمثلة بيانه ما حصل للكعبة البيت الحرام من حين بناه إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلىٰ هذا الوقت من التعظيم والتوقير، وانجذاب القلوب إليه، وأن الملوك يبنون الحصون، والمدائن والقصور ثم لا يلبث بنيانهم أن ينهدم، ويهان.

والكعبة بيت مبنيٌّ من حجارة سود بوادٍ غير ذي زرع ليس عنده ما تشتهيه النفوس من البساتين والمياه، وغيره، ولا عنده عسكر يحميه من الأعداء، ولا في طريقه من الشهوات ما تشتهيه الأنفس، بل كثيراً ما يكون في طريقه الخوف، والتعب، والعطش، والجوع.

ومع هذا فقد جعل من أفئدة الناس التي تهوي إليه ما لا يعلمه إلا اللَّه، وجعل له من العز، والشرف، والعظمة ما أذل به رقاب أهل الأرض؛ حتىٰ تقصده عظماء الملوك، ورؤساء الجبابرة؛ فيكونون هناك في الذل والمسكنة كآحاد الناس[1].

ثم يصل إلىٰ الشاهد من ذلك فيقول: «وهذا مما يُعلم بالاضطرار أنه خارج عن قدرة البشر، وقوىٰ نفوسهم، وأبدانهم والذي بناه قد مات من ألوف السنين»[2].

ثم يبين بعد ذلك أن «أمر البيت مما حير هؤلاء الفلاسفة والمنجمين، والطبائعية؛ لكونه خارجاً عن قياس عقولهم، وقوانين علومهم حتىٰ اختلقوا لذلك من الأكاذيب ما يعلمه كل

---

(١) انظر الرسالة الصفدية ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) الرسالة الصفدية ص٢٢٧.

عاقل لبيب، مثل قولهم: إن تحت الكعبة بيتاً فيه صنم يُبَخَّر، ويَصْرِف وجهه إلىٰ الجهات الأربع؛ ليقبل الناس إلىٰ الحج»[(١)].

ثم يعلق علىٰ ذلك بقوله: «وهذا مما يَعْلَم كلُّ مَنْ عرف أمرَ مكة أنه من أبين الكذب، وأنه ليس تحت الكعبة شيء من هذا، وأنه لا ينزل أحد من أهل مكة إلىٰ ما تحت الكعبة، ولا يحفره أحد، ولا يبخر أحد شيئاً هناك، ولا هناك صنم ولا غير صنم»[(٢)].

ثم يذكر بعد ذلك حيرة ابن سبعين[(٣)] **وأمثاله** من سر هذا الانجذاب للكعبة، وأنهم ربما قالوا: ليت شعرنا ما هو الطلسم الذي صنعه إبراهيم الخليل حتىٰ صار الأمر هكذا؟.

ثم يقرر أن الطلاسم إنما يقوىٰ تأثيرها إذا ضعف العقل، وهكذا الشياطين كلما ضعفت القوىٰ قوىٰ تأثيرهم[(٤)].

وهكذا يسترسل في ضرب الأمثلة علىٰ هذا النحو، فيذكر ما حصل بعد موت النبي ﷺ من حفظ اللّه للقرآن، وللشريعة، وأن ذلك أمر خارق عن مقدور النبي ﷺ.

---

(١) الرسالة الصفدية ٢٢٧.

(٢) الرسالة الصفدية ص٢٢٧، وانظر النبوات ١/٥١٠.

(٣) هو أبو محمد عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الرقوطي الأندلسي؛ نسبة إلىٰ بلدة رقوطة، وهي قريبة من مرسية، المشهور بابن سبعين، وهو من الصوفية الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود، ولد سنة ٦١٤هـ، وكان في الأندلس ثم نزل مكة، وتوفي سنة ٦٦٩. انظر العبر في خبر من غبر للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت ٥/ ٣٩١ ـ ٣٩٢، ولسان الميزان ٣/٣٩٢.

(٤) انظر الرسالة الصفدية ٢٢٧.

ويذكر - كذلك - ما جعله اللّه في القلوب قرناً بعد قرن من المحبة للنبي ﷺ، والتعظيم له، والعلم بعظيم منزلته، وعلو درجته من غير مُكْرِهٍ يُكْرِه القلوب على العلم والمعرفة؛ مع كمال عقول الناظرين في ذلك.

ثم يقرر أن ذلك كلَّه من أعظم الأمور الخارقة للعادة، وهي أمور خارجة عن قوى البشر(١).

ثم يختم بذكر ما في القلوب لإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح، وغيرهم من الأنبياء من المحبة والتعظيم، وما في قلوب المؤمنين - أيضاً - من البغض، واللعن الذي جُعِل للكفار وأتباعهم(٢).

❁ ثالث وعشرون: إيراده لآراء النحويين، واللغويين، والقراء:

وذلك عند مناقشته لبعض المسائل؛ حيث يورد الأقوال، ويُرجِّح ما يراه مع التعليل لما يرجحه. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ - **ما جاء في بيانه لمفهوم النبوة**، قال رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً اشتقاقها: «النبوة مشتقة من الإنباء»(٣).

وقال: «وجمع النبي أنبياء، مثل ولي وأولياء، ووصيٌّ وأوصياء، وقوي وأقوياء، ويشبهه: حبيب وأحباء، كما قال - تعالى -:

(١) انظر الرسالة الصفدية ٢٢٩.
(٢) انظر الرسالة الصفدية ٢٢٩.
(٣) النبوات ٢/٨٧٣.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

فـ: (فعيل) إذا كان مُعْتَلاً، أو مضاعفاً جمع على أَفْعِلاء بخلاف حكيم وحكماء، وعليم وعلماء»[١].

ثم قال مبيناً اشتقاق كلمة نبي، والأقوال في ذلك: «وهو من النبأ، وأصله الهمزة، وقد قرئ به، وهي قراءة نافع يقرأ النبيء[٢].

لكنْ لما كثر استعماله لُيِّنت همزته كما فُعِل ذلك في الذرية، وفي البرية.

وقد قيل: هو من النَّبْوة، وهي العلوُّ؛ فمعنى النبي المُعَلَّىٰ،

---

(١) النبوات ٢/٨٨١.

(٢) كان نافع يقرأ بهمز (النبي) يقرؤها (النبيء) بجميع القرآن. انظر تفسير الطبري، حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ٢/١٤١.
وفي ذلك يقول الشاطبي رحمه الله:
وجمعاً وفرداً في النبيء وفي النبو
ءة الهمزَ كلٌّ غيرَ نافع ابدلا
يعني: أن كل القراء غير نافع أبدل الهمزة في لفظ النبيء مجموعاً، ومفرداً، فالمجموع نحو: (الأنبياء، والنبيين، والنبوة).
والمفرد نحو: (النبيء، ونبيء، ونبيئاً) وفي لفظ النبوءة ـ أيضاً ـ.
انظر إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي، تأليف الإمام عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، تحقيق، وتقديم، وضبط: إبراهيم عطوه عوض، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ص٣٢٧ ـ ٣٢٩.

الرفيع المنزلة»[١].

ثم يقول جامعاً بين المعنيين: «والتحقيق أن هذا المعنىٰ داخلٌ في الأول؛ فمن أنبأه اللَّه، وجعله مُنبئاً عنه فلا يكون إلا رفيع القدر علياً.

وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل علىٰ خصوص النبوة؛ إذ كان هذا مما يوصف به من ليس بنبي، بل يوصف بأنه الأعلىٰ كما قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقراءة الهمز قاطعة بأنه مهموز»[٢].

ثم بين بعد ذلك أن اللفظين ـ النبيء والنبي ـ مشتركان في الاشتقاق الأكبر[٣]؛ فكلاهما فيه النون، والياء.

---

(١) النبوات ٢/٨٨١.

(٢) النبوات ٢/٨٨٢

(٣) الاشتقاق الأكبر: قسم من أقسام الاشتقاق، وهو أن تتحد الكلمات في بعض، وتختلف في باقيها مع اتحادها في المخرج.
مثل: نعق، نهق؛ فالعين والهاء حرفان حلقيان.
ومثل: هتن، وهطل، وأز، وهزَّ، وهدير الحمام، وهديله.
وهذا القسم وقف عليه ابن جني، ولم يضع له اسماً، وقد أدخله تحت قانون عام سماه «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» انظر الخصائص لابن جني تحقيق: محمد علي البجاوي، الكتاب العربي، بيروت، ٢/١٤٥.
وهذا هو الذي يعنيه ابن تيمية بقوله: الاشتقاق الأكبر.
وقد عرفه بأنه اشتراك الألفاظ في جنس الحروف دون أعيانها، أو أنه اشتراك اللفظين في أكثر الحروف، وتفاوتهما في بعضهما. =

ففي النبيء: الهمز، وفي النبي: الحرف المعتل[١].

ثم يقول بعد ذلك: «لكن الهمز أشرف؛ فإنها أقوىٰ.

قال سيبويه: هي نَبْوة[٢] من الحلق تشبه التهوّع؛ فالمعنىٰ

= انظر منهاج السنة النبوية ١٩١/٥ ـ ١٩٢، وانظر الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، د. هادي أحمد فرحان الشجيري، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ص١٣٠ ـ ١٣٥.
وبعضهم يسمي هذا النوع من الاشتقاق: الاشتقاق الكُبَار، أو الاشتقاق الأكبر.
ومن يطلق عليه ذلك المسمىٰ يسمي القلب المكاني مثل: (جبذ وجذب، واضمحل وامضحل) الاشتقاق الكبير.
ويسمي النحت: الاشتقاق الكُبَّار: وهو أن يؤخذ من كلمتين فأكثر كلمة واحدة، مثل: (أدام اللّٰه عزك: دمعزة، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه: حوقلة وهكذا).
انظر في تفصيل الكلام علىٰ الاشتقاق إلىٰ كتاب نزهة الأحداق للشوكاني، والعلم الخفاق من علم الاشتقاق لصديق خان، والاشتقاق والتعريب لعبدالقادر المغربي، والاشتقاق لعبداللّٰه أمين.

(١) النبوات ٨٨٢/٢.

(٢) هكذا في الأصل (نَبْوة) وهي ههنا لا معنىٰ لها، ولعل الصواب (نبرة) لأن الكلام ههنا عن الهمزة، ومخرجها.
ولعله اشتبه علىٰ الناسخ أو المحقق؛ لكون الكلام عن النُّبوَّة، وأنها مشتقة من النُّبوءة.
ومما يؤكد أنها (نبرة) لا (نبوة) نصُّ عبارة سيبويه في الكتاب؛ حيث يقول رحمه الله: «واعلم أن الهمزة إنما فَعَل بها هذا من لم يخفِّفْها؛ لأنه بَعُدَ مخرجها، ولأنها نَبْرَة في الصدر تخرج باجتهاد، =

الذي يدل عليه، ويمكن أن تُلَيَّن فتصير حرفاً معتلاً، فيعبر عنه باللفظين، بخلاف المعتل؛ فإنه يُجْعل همزة؛ فلو كان أصله نبي مثل علي، وولي لم يَجُزْ أن يقال بالهمز كما لا يقال: عليء، ووصيء، ووليء بالهمز.

وإذا كان أصله الهمز جاز تليين الهمزة، وإن لم يكثر استعماله كما في لفظ خبيء وخبيئة»[1].

ثم يواصل تقويته لكون أصله بالهمز، فيقول: «وأيضاً فإن تصريفه: أنبأ، ونبَّأ ينبئ بالهمزة، ولم يستعمل: ينبو، وإنما يقال: النَّبْوة، وفي فلان عنا نبوة: أي مجانبة»[2].

ثم ينتهي بعد ذلك إلىٰ ما يرىٰ أنه الفصل في هذه المسألة، فيقول: «فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الإنباء لا من النبوة، والله أعلم»[3].

٢ ـ ما جاء في كلامه علىٰ مفهوم كلمة الشيطان، وذلك في مواضع من آثاره.

وأَجْمَعُ موضعٍ تكلم فيه علىٰ مفهوم هذه الكلمة ومدلولها ما أورده في (منهاج السنة النبوية) حيث بيَّن معنىٰ كلمة

= وهي أبعد الحروف مخرجاً؛ فثقل عليهم ذلك؛ لأنه كالتهوُّع». كتاب سيبويه، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ٣/٥٤٨.

(١) النبوات ٢/٨٨٢ ـ ٨٨٣.

(٢) النبوات ٢/٨٨٣.

(٣) النبوات ٢/٨٨٣.

(الشيطان) عند العرب، وأَوْضَح الأقوال في اشتقاقها الأصلي، وذكر الشواهد علىٰ ذلك، ورجح ما رآه صواباً في هذه المسألة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلام له عن الوسواس في النفس، وأنه يكون من الشيطان تارة، ومن النفس تارة، وذَكَر النصوصَ الواردةَ في ذلك، وأقوالَ العلماء فيه[١]، وأن الشيطان يكون من الإنس، ومن الجن، قال بعد ذلك مبيناً معنىٰ الشيطان: «قال الخليل بن أحمد: (كل متمرد عند العرب شيطان[٢])»[٣].

ثم بيَّن أن لهذا اللفظ اشتقاقين، وذكر الأول منهما، ورجحه، فقال: «وفي اشتقاقه قولان: أصحهما أنه من (شطن يَشْطُن) إذا بعد عن الخير، والنون أصلية»[٤].

ثم أورد علىٰ ذلك شاهدين من شعر العرب، فقال: «قال أمية ابن أبي الصلت في صفة سليمان ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ:

أيما شاطنٍ عصاه عَكَاه

ثم يُلقىٰ في السجن والأغلال[٥]

---

(١) انظر منهاج السنة ٥/١٨٦ ـ ١٩٩.

(٢) انظر العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥م، ٦/٢٣٧.

(٣) منهاج السنة ٥/١٨٩.

(٤) منهاج السنة ٥/١٨٩.

(٥) ديوان أمية بن أبي الصلت جمع وتحقيق د. عبدالحفيظ السلطي، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٤، ص٤٤٥، وفيه: ثم يلقىٰ في =

عكاه: أوثقه.

وقال النابغة الذبياني:

نأتْ بسعادَ عنك نوىً شطونُ

فباتت والفؤاد بها رهين[١][٢]

ثم ذكر بعد ذلك ما يؤيد أنه مشتق من (شطن) فقال: «ولهذا قرنت به اللعنة؛ فإن اللعنة هي البعد من الخيرِ، والشيطان بعيد من الخير»[٣].

ثم بيّن وزنه الصرفي؛ بناءًا على ذلك بقوله: «فيكون وزنه (فيعالاً).

و(فيعالُ) نظير فعّال، وهو من صفات المبالغة مثل: القيّام، والقوّام؛ فالقَيّام: فيعال، والقوام: فعّال.

ومثل: العيّاذ، والعواذ»[٤].

إلىٰ أن قال مؤكداً ترجيح اشتقاق الشيطان من (شطن): «فالشيطان: المُتَّصفُ بصفة ثابتة قوية في كثرة البعد عن الخير؛ بخلاف مَنْ بَعُدَ عنه مرة، وقَرُب منه أخرىٰ؛ فإنه لا يكون شيطاناً.

= السجن والأكبال.

(١) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦م، ص١٢٦.

(٢) منهاج السنة ٥/ ١٨٩.

(٣) المرجع السابق ٥/ ١٨٩.

(٤) المرجع السابق ٥/ ١٨٩.

ومما يدل على ذلك قولهم: تشيطن يتشيطن شيطنة»[١].

ثم ذكر القول الثاني، وهو أنه من شاط يشيط، فقال: «ولو كان من شاط يشيط لقيل: تشيَّط، يتشيَّط.

والذي قال: هو من شاط يشيط: إذا احترق، والتهب ـ جعل النون زائدة، وقال: وزنه فعلان كما قال الشاعر:

.... وقد يشيط على أرماحنا البطل[٢]

وهذا يصح في الاشتقاق الأكبر الذي يعتبر فيه الاشتقاق من جنس الحروف»[٣].

ثم ضرب أمثلة لألفاظ يقع فيها مثل ذلك، كلفظ (يتسنه) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قال ابن تيمية: «وهذه الهاء تحتمل أن تكون أصلية؛ فجزمت بلم، ويكون من (سانهت).

ويحتمل أن تكون هاء السكت كالهاء من (كتابيه)، و(حسابيه)، و(اقتده)، و(ماليه)، و(سلطانيه)»[٤].

ثم قال بعد ذلك: «والمقصود أن اللفظين إذا اشتركا في

---

(١) المرجع السابق ٥/١٨٩ ـ ١٩٠.

(٢) البيت للأعشى، وصدره: قد نخضب العَيْر في مكنون فَائِلِهِ.

انظر ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤م، ص١١٣.

(٣) منهاج السنة ٥/١٩٠.

(٤) المرجع السابق ٥/١٩٠ ـ ١٩١.

أكثر الحروف، وتفاوتا في بعضها ـ قيل: أحدهما مشتق من الآخر، وهو الاشتقاق الأكبر.

والأوسط أن يشتركا في الحروف لا في ترتيبها كقول الكوفيين: (الاسم مشتق من السمة). والاشتقاق الأصغر الخاص: الاشتراك في الحروف، وترتيبها، وهو المشهور، كقولك: عَلِمَ يعلم، فهو عالم»[١].

ثم يصل إلىٰ نتيجة ما مضىٰ، فيقرر؛ بناءًا عليه قائلاً: «وعلىٰ هذا فالشيطان: مشتق من (شطن)[٢].

وعلىٰ الاشتقاق الأكبر[٣] هو من باب: (شاط يشيط) لأنهما اشتركا في الشينِ والطاءِ، والنونُ والياءُ: متقاربان[٤]»[٥].

❁ **رابع وعشرون: إيراده لما جاء في كتب أهل الكتاب، وتفسيره لما في تلك الكتب من النبوءات:**

ومقارنة ما جاء من ذلك بالكتاب والسنة، وجعل ما وافقهما حجةً علىٰ أهل الكتاب.

وهو من خلال ذلك يقيم الحجة علىٰ أهل الكتاب، ويؤكد علىٰ صحة دين الإسلام، وبطلان ما عداه من الأديان، ويزيد أهل الإسلام يقيناً واعتزازاً به.

---

(١) المرجع السابق ١٩٢/٥.
(٢) يعني علىٰ الاشتقاق الأصغر المشهور، وهو الاشتراك في الحروف، وترتيبها مثل: علم يعلم، وسلم يسلم.
(٣) الذي هو الاشتراك في أكثر الحروف.
(٤) يعني في المخرج.
(٥) منهاج السنة ١٩٣/٥.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتابه (الجواب الصحيح) حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «دلائل نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية لا يمكن القدح فيها بظن؛ فإن الظن لا يدفع اليقين لا سِيَّما مع الآثار الكثيرة المُخْبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة، أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ﷺ إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من **الآيات البينات** على نبوته ونبوة من قبله، وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين الملحدين، كما قد ذكر اللَّه هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه»[٢].

ثم ذكر أمثلة على ذلك من القرآن، فقال: «كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء].

وقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

وقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]»[٣].

---

(١) الجواب الصحيح ٥/١٥٥

(٢) الجواب الصحيح ٥/١٩٧.

(٣) الجواب الصحيح ٥/١٩٧ ـ ١٩٨.

وقد جاء في صحيح البخاري عن عطاء بن يسار أنه قال: «لقيت عبد اللّه ابن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ فقلت: أخبرني عن صفة رسول اللّه ﷺ في التوراة، قال: أجل، واللّه إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب]. وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يَقْبِضَهُ اللّه حتىٰ يقيم به الملّة العوجاء، بأن يقُولوا: لا إله إلا اللّه، ويفتح بها أعيُناً عُمياً، وقُلُوباً غُلْفاً»[1].

قال ابن تيمية رحمه الله معلقاً علىٰ هذا الأثر: «ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المُعَيّنَةُ، ويراد به الجنس، فَيُعَبَّر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ (خُفِّفَ علىٰ داود القرآن، فكان ما بين أن تُسْرَج دابته إلىٰ أن يركبها يقرأ القرآن)[2]»[3].

قال ابن تيمية معلقاً علىٰ هذا الحديث: «والمراد به قرآنه، وهو الزبور، ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلا علىٰ محمد ﷺ.

كذلك ما جاء في صفة أمة محمد أناجيلهم في صدورهم، فَسَمَّىٰ الكتب التي يقرؤونها ـ وهي القرآن ـ أناجيل.

---

(١) البخاري (٢١٢٥و٢٨٣٨)

(٢) الجواب الصحيح ٥/١٥٦.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤١٧).

وكذلك في التوراة (إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسىٰ) فسمىٰ الكتاب الثاني توراة.

فقوله: «أخبرني بصفة رسول اللَّه في التوراة» قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلِّها، وكلُّها تسمىٰ توراة، ويكون هذا في بعضها.

وقد يراد به التوراة المعينة.

وعلىٰ هذا فيكون هذا في نسخة لم ينسخ منها هذه النسخ؛ فإن النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها ليس فيها هذا»[١].

ثم شرع رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر عدد من البشارات، وتناولها بالشرح، والتحليل، والمقارنة.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما يلي:

١ ـ تفسيره لنبوءة أشعياء: فقد جاء في نبوة أشعياء قوله: «عبدي الذي سُرَّت به نفسي، أنزل عليه وحيي، فَيُظْهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك، ولا يسمع صوته في

---

(١) الجواب الصحيح ١٥٦/٥ ـ ١٥٧، وانظر هداية الحيارىٰ ص ١٦٥ ـ ١٦٦، وإرشاد الثقات إلىٰ اتفاق الشرائع علىٰ علم التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ٢١ ـ ٢٢.
وقول ابن تيمية: (ليس فيها هذا) يعني أثر عبداللَّه بن عمرو، ولكن سيرد في نبوءة أشعياء.

الأسواق يفتح العيون العور والآذان الصم، ويحيي القلوب الغُلْف، وما أعطيه لا أعطي أحداً، يحمد اللَّه حمداً جديداً، يأتي من أقصىٰ الأرض، وتفرح البرية، وسكانها يهللون اللَّه علىٰ كل شَرَف ويكبرونه علىٰ كل رابية، لا يضعف، ولا يُغْلب، ولا يميل إلىٰ الهوىٰ، مشقح[1]، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة، بل يُقَوِّي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور اللَّه الذي لا يُطْفَأ، أثر سلطانه علىٰ كتفيه»[2].

وهذه البشارة من أشعياء ـ عليه السلام ـ قريبة مما جاء في أثر عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ **قال ابن تيمية رحمه الله معلقاً علىٰ هذه النبوءة**: «وهذه صفات منطبقة علىٰ محمد وأمته، وهي من أجل بشارات الأنبياء المتقدمين به.

ولفظ التوراة قد عرف أنه يراد به جنس الكتب التي يقر بها أهل الكتاب، فيدخل في ذلك: الزبورُ، ونبوةُ أشعياءَ، وسائرُ النبواتِ غير الإنجيل»[3].

٢ ـ تفسيره لبشارةٍ في سِفْر التثنية ونصها: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسىٰ رجل اللَّه بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء[4] ....

---

(١) مِشْقَح: يميل إلىٰ لون الحمرة. انظر لسان العرب ٢/٤٩٩.
(٢) انظر سفر أشعياء الإصحاح ٣٥ فقرة ١ ـ ١٠، العهد القديم ٨١٥، وانظر الجواب الصحيح ٥/١٥٧ ـ ١٥٨.
(٣) الجواب الصحيح ٥/١٥٨.
(٤) سيناء، أو طور سينا: اسم جبل بقرب آيلة، انظر معجم البلدان =

وأشرق لهم من سعير[١] وتلألأ من جبال فاران[٢]»[٣].

وقد أورده ابن تيمية بلفظ قريب فقال: «وذلك مثل قوله في التوراة ما قد ترجم بالعربية: «جاء اللَّه من طور سينا، وبعضهم يقول: تجلىٰ اللَّه من طور سينا، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» [٤].

قال ابن تيمية معلقاً علىٰ هذه البشارة: «قال كثير من العلماء واللفظ لأبي محمد ابن قتيبة: ليس بهذا خفاء علىٰ من تدبره، ولا غموض؛ لأن مجيءَ اللَّه من طور سينا إنزالُه التوراةَ علىٰ موسىٰ من طور سينا كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا.

وكذلك يجب أن يكون إشراقُه من ساعير إنزالَه الإنجيلَ علىٰ المسيح، وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعىٰ ناصرة، وباسمها يسمىٰ من اتبعه نصارىٰ.

وكما وجب أن يكون إشراقُه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استعلانُه من جبال فاران إنزالَه القرآنَ علىٰ محمد، وجبالُ فارانَ هي جبال مكة.

= لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٥/ ١٠٧.

(١) سعير، أو ساعير: اسم لجبال فلسطين، وهي قرية من الناصرة بين طبرية وعكا، انظر معجم البلدان ٥/٩.

(٢) جبال فاران: هي جبال مكة. انظر الجواب الصحيح ٥/ ٢٠٠.

(٣) سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثون ١ ـ ٣، العهد القديم، وانظر إفحام اليهود ص١١٨.

(٤) الجواب الصحيح ٥/١٩٩.

قال: وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة؛ فإن ادعوا أنها غير مكة؛ فليس يُنْكَر ذلك من تحريفهم وإفكهم ـ قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران؟»[١].

إلىٰ أن قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقلنا دُلُّونا علىٰ الموضع الذي استعلن اللّه منه واسمهُ فاران، والنبيِّ الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح، أو ليس (استعلن) و(علن).

وهما بمعنىٰ واحد وهو ما ظهر وانكشف؛ فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام، وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فُشَوَّه»؟[٢].

ويقول: «وقال ابن ظفر: **ساعير** جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح.

قلت: وبجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح قرية تسمىٰ إلىٰ اليوم **ساعير**، ولها جبل يسمىٰ **ساعير**.

وفي التوراة أن نسل العيص كانوا سكاناً **بساعير**، وأمر اللّه موسىٰ أن لا يؤذيهم»[٣].

ثم قال ابن تيمية مؤكداً ما مضىٰ: «وعلىٰ هذا فيكون ذكرُ الجبال الثلاثة حقًّا جبل حراء الذي ليس حول مكة جبل أعلىٰ منه، ومنه كان نزول أول الوحي علىٰ النبي ﷺ وحوله من

---

(١) الجواب الصحيح ١٩٩/٥ ـ ٢٠٠، وانظر إرشاد الثقات ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) الجواب الصحيح ٢٠٠/٥ ـ ٢٠١.

(٣) الجواب الصحيح ٢٠١/٥ ـ ٢٠٢.

الجبال جبال كثيرة حتىٰ قد قيل: إن بمكة اثني عشر ألف جبل، وذلك المكان يسمىٰ **فاران** إلىٰ هذا اليوم، وفيه كان ابتداء نزول القرآن»[١].

إلىٰ أن قال: «والبَرِّيَّةُ التي بين مكة وطور سينا تسمىٰ بَرِّية **فاران**، ولا يمكن أحداً أن يدعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض، ولا بُعِث نبيٌّ؛ فَعِلمَ أنه ليس بالمراد باستعلانه من جبال **فاران** إلا إرسال محمد»[٢].

ثم يلفت النظر إلىٰ معنىٰ آخر في نص النبوءة، ألا وهو الترتيب الزماني، فيقول: «وهو ـ سبحانه ـ ذكر هذا في التوراة علىٰ الترتيب الزماني؛ فذكر إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القرآن.

وهذه الكتب نُوْرُ اللَّه وهداه، وقال في الأول: جاء أو ظهر، وفي الثاني أشرق، وفي الثالث استعلن»[٣].

ثم يزيد تلك البشارة شرحاً، فيقول: «وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس زاد به النور والهدىٰ.

وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء؛ ولهذا قال: (واستعلن من جبال فاران) فإن النبي ﷺ ظهر به

---

(١) الجواب الصحيح ٥/٢٠٢.
(٢) الجواب الصحيح ٥/٢٠٢.
(٣) الجواب الصحيح ٥/٢٠٢.

نور اللَّه وهداه في مشرق الأرض ومغربها؛ أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض ومغاربها؛ ولهذا سماه اللَّه سراجاً منيراً، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً»[(١)].

إلىٰ أن قال مبيناً عظم الرسالة الأخيرة، وشدة حاجة الخلق إليها: «والخَلْقُ يحتاجون إلىٰ السراج المنير أعظم من حاجتهم إلىٰ السراج الوهاج؛ فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت، وكما قيل: قد يَنْضَرُّون به بعض الأوقات.

وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت، وفي كل مكان ليلاً ونهاراً، سراً وعلانيةً، وقد قال النبي ﷺ: **(زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها؛ وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها)**[(٢)]»[(٣)].

ثم يُبَيِّن أن هذا قريب مما جاء في القرآن في سورة التين؛ فيقول: «وهذه الأماكن الثلاثة أقسم اللَّه بها في القرآن في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]»[(٤)].

ثم يوضح معنىٰ الإقسام الوارد في الآيتين الأُوليين؛ فيقول: «فأقسم بالتين والزيتون وهو الأرض المقدسة الذي ينبت فيها ذلك، ومنها بعث المسيح، وأنزل عليه فيها الإنجيل.

---

(١) الجواب الصحيح ٥/٢٠٢ ـ ٢٠٣.
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).
(٣) الجواب الصحيح ٥/٢٠٣.
(٤) الجواب الصحيح ٥/٢٠٤.

وأقسم بطور سينين، وهو الجبل الذي كلم اللَّه فيه موسىٰ، وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة»[١].

ثم يبين معنىٰ الإقسام الوارد في الآية الثالثة، فيقول: «وأقسم بالبلد الأمين، وهي مكة، وهو البلد الذي أسكن فيه إبراهيمُ ابنَه إسماعيلَ وأمَّهُ، وهو الذي جعله اللَّه حرماً آمناً، ويتخطف الناس من حولهم خلقاً وأمراً قدراً وشرعاً؛ فإن إبراهيم حَرَّمه، ودعا لأهله، فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم]»[٢].

وقال ـ أيضاً ـ: «فقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه وأنزل فيها الثلاثة[٣] التوراة، والإنجيل، والقرآن.

كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله: «جاء اللَّه من طور سينا، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»[٤].

٣ ـ تفسيره لبشارة شمعون النبي ـ عليه السلام ـ ونصها: «اللَّه جاء من تيمان[٥]، والقدوس من جبل فاران، سلاه جلاله غطىٰ

---

(١) الجواب الصحيح ٥/٢٠٤.
(٢) الجواب الصحيح ٥/٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٣) يعني كتبه الثلاثة المذكورة.
(٤) الجواب الصحيح ٥/٢٠٧
(٥) تيمان أو التيمن: اسم عبري معناه: اليمين، أو الجنوبي، أو الصحراء =

السموات والأرض، امتلأت من تسبيحه، وكان لمعانٌ كالنور من يده شعاع، وهناك استثار قدرته»[١].

وقد أورد ابن تيمية هذه البشارة بما هو موجود من كتب أهل الكتاب في وقته، فقال في سياق حديثه عن بشارات الأنبياء السابقين بنبوة محمد ﷺ: «ومثل هذا بشارة أخرىٰ بمحمد ﷺ من كلام شمعون بما رضوه[٢] من ترجمتهم وهو: «جاء اللَّه بالبينات من جبال فاران، وامتلأت السماء والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته»[٣].

ثم علق ابن تيمية علىٰ هذه البشارة بقوله: «فهذا تصريح بنبوة محمد ﷺ الذي جاء بالنبوة من جبال فاران، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته»[٤].

ثم قال: «ولم يخرج أحد قط، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته مما يسمىٰ فاران سوىٰ محمدٍ ﷺ.

والمسيح لم يكن في أرض فاران البتة، وموسىٰ إنما كُلِّم من الطور، والطورُ ليس من أرض فاران، وإن كانت البرية التي بين الطور وأرض الحجاز من فاران، فلم يُنْزِلِ اللَّهُ فيها التوراة.

= الجنوبية، انظر حاشية الجواب الصحيح ٥/٢٢٢.

(١) انظر سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ص٣ ـ ٤، العهد القديم ١٠٤٦، وانظر الجواب الصحيح ٥/٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) يعني أهل الكتاب.

(٣) الجواب الصحيح ٥/٢٢١.

(٤) الجواب الصحيح ٥/٢٢٢.

وبشارات النبوة قد تقدمت بجبل الطور، وبشارة الإنجيل بجبل ساعير»[١].

۞ خامس وعشرون: خلط الردود ومناقشةِ المسائل ـ بالوعظ، وما يرقق القلوب، ويزيد الإيمان.

۞ سادس وعشرون: عنايته بروح الشريعة، ومقاصدها العليا، وإبراز ما فيها من اليسر، ورفع الحرج.

۞ سابع وعشرون: إعلاؤه من شأن مكارم الأخلاق، ومقومات المروءة:

من نحو الكرم، والسماحة، والشجاعة، والصبر وما جرىٰ مجراها[٢].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ مبينا مفهوم الخلق الحسن: «وجماع الخلق الحسن مع الناس: أن تصل من قطعك بالسلام، والإكرام والدعاء له، والاستغفار والثناء عليه، والزيارة له.

وتعطي من حرمك من التعليم، والمنفعة، والمال.

وتعفو عمن ظلمك في دم، أو مال، أو عرض، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب»[٣].

وقال مبيناً مفهوم الخلق العظيم: «وأما الخلق العظيم الذي وصف اللَّه به محمداً ﷺ فهو الدين الجامع لجميع ما أمر اللَّه به مطلقاً، هكذا قال مجاهد وغيره.

---

(١) الجواب الصحيح ٥/٢٢٢

(٢) انظر الاستقامة ٢/٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١٠/٦٥٩.

وهو تأويل القرآن - كما قالت عائشة - رضي الله عنها -: (كان خلقه القرآن)[١].

وحقيقته المبادرة إلىٰ امتثال ما يحبه اللَّه - تعالىٰ - بطيب نفس، وانشراح صدر»[٢].

وقال في موضع آخر مبينا بعض فضائل مكارم الأخلاق: «فالحاجة إلىٰ السماحة والصبر عامة لجميع بني آدم؛ لا تقوم مصلحة دينهم، ولا دنياهم إلا بهما.

ولهذا فإن جميعهم يتمادحون بالشجاعة والكرم حتىٰ أن ذلك عامة ما يمدح به الشعراء ممدوحيهم في شعرهم، وكذلك يتذامُّون بالبخل والجبن.

والقضايا التي يتفق عليها عقلاء بني آدم لا تكون إلا حقا كاتفاقهم علىٰ مدح الصدق، والعدل، وذم الكذب والظلم»[٣].

وقال متحدثاً عن الصبر: «فلا بد من الصبر علىٰ بفعل الحسن المأمور، وترك السيئ المحظور.

ويدخل في ذلك الصبر علىٰ الأذىٰ، وعلىٰ ما يقال، والصبر علىٰ ما يصيبه من المكاره، والصبر عن البطر عند النعم، وغير ذلك من أنواع الصبر»[٤].

---

(١) مسلم: (٧٤٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٠/٦٥٩، وانظر الاستقامة ١/٤٤٣.

(٣) الاستقامة ٢/٢٦٣.

(٤) الاستقامة ٢/٢٦١.

وله رسالة لطيفة عنوانها: (قاعدة في الصبر) تكاد تكون من أجمع ما كتب في هذا الباب خصوصاً الصبر علىٰ أذىٰ الناس، وكيفية التعامل معه[١].

وبالجملة فكلامه علىٰ مكارم الأخلاق، وعنايته بهذا الباب عظيمة جداً.

۞ ثامن وعشرون: عنايته بأعمال القلوب، وتصحيح ما وقع فيه أرباب السلوك من الخطأ في هذا الباب، وتوجيه ما فيه إجمال، واشتراك:

والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة جداً، وأجلىٰ ما في ذلك ما جاء في المجلد العاشر من مجموع الفتاوىٰ المختص بالسلوك، وما احتوىٰ عليه من الرسائل في هذا الباب، كالتحفة العراقية في الأعمال القلبية، وأمراض القلوب، وشفائها، وغيرها من الرسائل في ذلك الشأن.

۞ تاسع وعشرون: مراعاة مقتضى الحال في التأليف:

فتارة تراه يرتفع في أسلوبه؛ فلا يكاد يفهمه إلا خاصة المتخصصين، وذلك عندما ينازل الفلاسفة، أو المتكلمين، ونحوهم، كما في كتابه (درء تعارض العقل والنقل).

وتارة تراه يكتب بأسلوب سهل يكاد يفهمه كل من قرأه، كما في الواسطية، والوصية الصغرىٰ.

---

(١) انظر جامع المسائل لابن تيمية تحقيق محمد عزيز شمس ١/١٦٥ ـ ١٧٤.

۞ ثلاثون: العدل مع المخالف، والتماس العذر له، ونفي ما ألصق به مما هو منه براء، والفرح برجوعه إلى الحق:

ومن الأمثلة على ذلك ما أورده في النبوة من كلمة تنسب لبعضهم، وهي قول[١]: (إن للَّه عباداً لو شاء ألا يقيم الساعة لما أقامها) فذكرها بتمامها، وبيَّن أنها تنسب لسهل بن عبداللَّه التُّسْتَري[٢]، فقال: «ومن الناس من يحكي عن سهل بن عبداللَّه أنه لما دخل الزنج البصرة قيل له في ذلك، فقال: (هاه؛ إن ببلدكم هذا من لو سألوه أن يزيل الجبال عن أماكنها لأزالها، ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لما أقامها؛ لكنهم يعلمون مواضع رضاه؛ فلا يسألونه إلا ما يحب[٣]».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١٤/٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(٢) هو: أبو محمد بن سهل بن عبداللَّه بن يونس التُّسْتَري، ولد بتُسْتَر، وهي بلدة من الأهواز من خوزستان، سنة ٢٠٠هـ، وقيل: ٢٠١هـ، وتوفي في البصرة سنة ٢٨٣هـ، وقيل ٢٧٣هـ، أحد أئمة الصوفية، ومن المتكلمين في علوم الرياضيات، والإخلاص، وعيوب الأفعال. انظر طبقات الصوفية، لأبي عبدالرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، ص٢٠٦ ـ ٢١١، والطبقات الكبرىٰ للشعراني، ط١، الحلبي ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م، ١/٦٦ ـ ٦٨، والبداية والنهاية ١٤/٦٦٥.

(٣) ذكر الغزالي هذه المقولة عن أحد أقطاب الصوفية قولهم: «ولما دخل الزنج البصرة؛ فقتلوا الأنفس، ونهبوا الأموال ـ اجتمع إلىٰ سهلٍ إخوانُه، فقالوا: لو سألت اللَّه دَفْعَهم؟
فسكت، ثم قال: إن للَّه عباداً في هذه البلدة لو دعوا علىٰ الظالمين لم يصبح علىٰ وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة، ولكنهم لا =

ثم علق ابن تيمية علىٰ هذه المجازفة بما يقتضيه العلم، والعدل؛ فقال: «وهذه الحكاية إما كذب علىٰ سهلٍ - وهو الذي نختار أن يكون حقاً - أو تكون غلطاً منه؛ فلا حول ولا قوة إلا باللّٰه»[١].

ومع كثرة مناقشته، وردوده علىٰ القاضي أبي بكر الباقلاني فهو يثني عليه، كمثل قوله فيه: «وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلىٰ الأشعري، ليس فيهم مثله، لا قبله ولا بعده»[٢].

وقال في معرض رده علىٰ ابن المطهر الحلي، وبيان حال نصير الدين الطوسي، قال في الوجه الثاني: «الثاني: أن هذا الرجل[٣] قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة

= يفعلون.
قيل: لِمَ؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب.
ثم ذكر من إجابة اللّٰه أشياء لا يُستطاع ذِكْرُها، حتىٰ قال: «لو سألوه ألا يقيم الساعة لم يُقِمْها». إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٤/٣٥٦.

(١) مجموع الفتاوىٰ ١٤/٣٦٦.

(٢) الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ لابن تيمية، تحقيق ودراسة د. حمد بن عبدالمحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٥٠٩.

(٣) يعني محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، والمعروف بنصير الدين الطوسي، أو النصير الطوسي (٥٩٧هـ - ٦٧٢هـ). انظر البداية والنهاية، ١٧/٢١٤، و٣٥٨، و٣٥٩، و٤٧٨، و٥١٤ - ٥١٥، و١٨/١٥٤، و٢٧٢، ومنهاج السنة ٣/ ٤٤٦ - ٤٤٨، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية، تحقيق سيد كيلاني، طبعة الحلبي، =

الباطنية الإسماعيلية بالألموت[١]، ثم لما قدم الترك المشركون إلىٰ بلاد المسلمين، وجاؤوا إلىٰ بغداد دار الخلافة كان مُنَجِّماً مشيراً لملك الترك هولاكو؛ أشار عليه بقتل الخليفة، وقتل أهل العلم والدين، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا»[٢].

ثم بيَّن شيئاً من حال النصير الطوسي لما استولىٰ علىٰ الوقف الذي للمسلمين، وأنه كان يعطي ما شاء اللَّه لعلماء المشركين، وشيوخهم، والسحرة، وأمثالهم.

وأن أبخس الناس نصيباً منه من كان إلىٰ الملل أقرب، وأوفرهم من كان عن الملل أبعد.

وأوضح أن المشهور عنه وأتباعه الاستهانة بواجبات الإسلام، ومحرماته[٣].

= مصر، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م، ٢/٢٦٣،

(١) الألموت: وتسمىٰ قلعة الموت، أو حصن الموت، قلعة في جبال الديلم في منطقة طالقان، جنوب بحر قزوين، بناها أحد ملوك الديلم، واستولىٰ عليها الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن صباح الحميري سنة ٤٨٣هـ، وجعلها مركزاً لدعوته، وظلت بعده مركزاً لأئمة الإسماعيلية، حتىٰ عام ٦٥٤هـ، حين استولىٰ عليها هولاكو، وهدمها مع سائر قلاعهم. انظر الملل والنحل ١/١٧٥، وتاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفىٰ غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٦٢ ـ ٢٩٠، وهامش منهاج السنة ٣/٤٤٥.

(٢) منهاج السنة ٣/٤٤٦.

(٣) انظر منهاج السنة ٣/٤٤٦ ـ ٤٤٧.

وقال في خاتمة حديثه عن النصير الطوسي: «وبالجملة فأمر هذا الطوسي، وأتباعه عند المسلمين أشهر، وأعرف من أن يعرف، ويوصف.

ومع هذا فقد قيل: إنه في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس، ويشتغل بتفسير البغوي، وبالفقه، ونحو ذلك.

فإن كان قد تاب من الإلحاد فاللّه يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، واللّهُ ـ تعالىٰ ـ يقول: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٥٣]»[١].

❁ واحد وثلاثون: الأخذ بالشِّدة، والنقد اللاذع أحياناً:

وهذا أسلوب يأخذ به في بعض ردوده، خصوصاً إذا كان الخصم ممن يتجافىٰ عن الصواب، ويتعمد طمس الحقيقة، ويجهل علىٰ أئمة السلف؛ فيأخذ ابن تيمية بهذا الأسلوب، انطلاقاً من غيرته، وحرصاً علىٰ ردع ذلك المتجني المعاند.

من أكثر ما يتجلىٰ هذا الأسلوب في كتابه (منهاج السنة) أثناء مناقشته لابن المطهر الحلي صاحب كتاب (منهاج الكرامة).

❁ ثانٍ وثلاثون: طول النفس، ومحاصرة المسألة المتنازع عليها من جميع الجوانب:

وهذا مما يقع كثيراً؛ فتراه يتتبع الشبهة، أو المسألة المثارة، ومحاصرتها من جميع جهاتها، ويخرج بعد ذلك بنتيجة نهائية،

---

(١) منهاج السنة ٣/٤٤٨.

وحكم يراه صواباً.

والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة جداً، ومنها ما يلي:

١ ـ مناقشاته للفلاسفة في كتابه (الصفدية) الذي صنعه لذلك الغرض؛ إذ هو ـ في الأصل ـ سؤال ورد عليه في هذا الشأن ـ حيث «سئل عن رجل مسلم يقول: إن معجزات الأنبياء ـ صلىٰ اللَّه عليهم ـ قوىً نفسانية؛ أفتونا مأجورين»[1].

وقد أجمع عدد من العلماء أن موضوع الكتاب يدور حول هذا السؤال[2].

وجواب ابن تيمية عن ذلك السؤال.

وما أورده في (الصفدية) هو أجمع ما تناول فيه موضوع المعجزات عند الفلاسفة.

وقد أجاب عنه إجابة مجملة، ثم شرع في تفصيل الجواب، وتفنيد شُبَهِ الفلاسفة واحدةً واحدة.

وعلىٰ كل حال فالكتاب يقع في ٦١٨ صفحة، ويمكن تقسيمه إلىٰ قسمين رئيسين:

الأول: الرد علىٰ السائل، ويقع في ثلث الكتاب تقريباً، أي

---

(١) الرسالة الصفدية ص٤٥.

(٢) أشار إلىٰ ذلك ابن رجب في الذيل علىٰ طبقات الحنابلة ٢/٤٠٢ ـ ٤٠٤، وابن عبدالهادي في العقود الدرية ص٣٧، وزاد: «وفي قدم العالم»، والصفدي في الوافي بالوفيات ٧/٢٥، وابن شاكر في فوات الوفيات ١/٧٠.

إلىٰ نهاية ص٢٣٩.

الثاني: استطرادات مختلفة في الكلام علىٰ الفلاسفة، والرد علىٰ آرائهم، ومذاهبهم، ويقع في ثلثي الكتاب الأخيرين[(١)].

وبداية الرد من الصفحة الثانية والثمانين بعد المائة من الصفدية إلىٰ الصفحة التاسعة والثلاثين بعد المأتين.

وقد اشتمل علىٰ قوة الحجة، وكثرة الشواهد، وضرب الأمثلة، وحسن التوجيه للأدلة، ونحو ذلك مما تتجلىٰ به عبقرية ابن تيمية في الرد والنقض.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ **في بداية ذلك الرد**: «إذا تبين هذا[(٢)] فيقال: الكلام علىٰ هؤلاء من وجوه»[(٣)].

ثم شرع في ذكر عشرة وجوه فصَّل من خلالها الرد علىٰ الفلاسفة، وإن كان بعض تلك الوجوه أطول من بعض، من ناحية التفصيل، والاستطراد.

٢ ـ ما جاء في إبطاله لحديث رد الشمس لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد روي عن أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ كان يوحىٰ إليه، ورأسه في حجر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم يُصَلِّ العصر حتىٰ غربت الشمس، فقال ﷺ: «صليت العصر؟» قال: لا، قال رسول اللَّه ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة نبيك؛ فاردد عليه

---

(١) انظر مقدمة المحققينِ لكتاب الصفدية ص١٩ ـ ٢٣.
(٢) يعني قول الفلاسفة، وآراءهم في المعجزات.
(٣) الرسالة الصفدية ١٨٢.

الشمس».

قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت[١].

فهذا الخبر الذي ظنه بعض الناس آية للنبي ﷺ وكرامة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قد ردَّه غير واحد من النقاد.

والذي يعني ههنا رد ابن تيمية له؛ بسبب مخالفته للشرط الذي يرىٰ وجوبَ توافره في الكرامة؛ كي تكون كرامة حقاً، ألا **وهو صحة وقوعها.**

فابن تيمية رحمه الله يَرَد هذا الحديث في غير ما موضع من آثاره، ويبين وجه رده بكلام مجمل أحياناً، وكلام مفصل أحياناً.

وله في (منهاج السنة) كلام طويل مفصل في ردِّه، والذي يعني ههنا إبطاله للحديث من جهة عدم صحته، قال رحمه الله في معرض رده، ومناقشته لابن المطهر الحلي[٢] الذي أورد حديث

---

(١) مشكل الآثار ٤/٣٨٨، ونقله عنه عياض ١/٢٨٣، وسيأتي مزيد كلام عليه من خلال نقد ابن تيمية للحديث.

(٢) هو جمال الدين الرافضي، أبو منصور الحسن ـ وقيل الحسين ـ بن يوسف بن علي بن المطهر الحِلِّي العراقي الشيعي المعتزلي، رأس الشيعة في الحِلة السيفية التي بناها سيف الدولة صدقة بن منصور المزيدي الأسدي، سنة ٤٩٥هـ، وقد ولد ابن المطهر سنة ٦٤٨هـ، وتوفي سنة ٧٢٦هـ، وله مصنفات كثيرة تزيد علىٰ مائة وعشرين مجلداً في الفقه، والنحو، والأصول، والفلسفة، والرفض، وغير ذلك. انظر البداية والنهاية ٨/٥٨٦، و٥٨٧، و١٨/١٥٤، و٢٧١ ـ =

رد الشمس[1] لعلي مستشهداً به علىٰ أنه كرامة لعلي، وأن ذلك حصل له مرتين، قال ابن تيمية: «والجواب أن يقال: فضلُ علي، وولايتُه للَّه، وعلو منزلته عند اللَّه معلوم ـ وللَّه الحمد ـ من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني لا يحتاج معها إلىٰ كذب، ولا إلىٰ ما لا يُعلم صدقه»[2].

ثم بيَّن وجه بطلان الحديث فقال: «وحديث رد الشمس له قد ذكره طائفة كالطحاوي، والقاضي عياض وغيرهما، وعدُّوا ذلك من معجزات النبي ﷺ.

لكنِ المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع كما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات»[3].

ثم تتبع سند الحديث، وأورد كلام أهل العلم في رواته، فأورد كلام يحيىٰ بن معين، وابن حبان، وابن الجوزي[4].

ثم تطرق لما ذكره ابن المطهر من رجوع الشمس مرة أخرىٰ

= ٢٧٢، و٥٨٨، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، حققه، وقدم له: محمد سيد جاد الحق، ط٢، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م، مطبعة المدني ودار الكتب الحديثة، مصر، ٢/١٥٨.

(١) انظر منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي، تحقيق عبدالرحيم مبارك، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٩ش، مطبعة الهادي قم، الناشر: انتشارات تاسوعاء ـ مشهد، ص١٧١ ـ ١٧٢.

(٢) منهاج السنة ٨/١٦٥.

(٣) منهاج السنة ٨/١٦٥.

(٤) انظر المرجع السابق ٨/١٦٥ ـ ١٦٨.

لعلي، وذلك عندما قال[١]: «فلما أراد[٢] أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير[٣] دوابِّهم، وصلىٰ لنفسه في طائفة من أصحابه العصر، وفات كثير منهم؛ فتكلموا في ذلك؛ فسأل اللّه ردَّ الشمس؛ فردت»[٤].

ثم قال ابن المطهر: «ونظمه السيد الحميري[٥] في قصيدته المذهبة فقال:

ردت عليه الشمس لما فاته ... وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

حتىٰ تبلَّج نورُها في وقتها ... للعصر ثم هوىٰ هويَّ الكوكب

وليه قد رُدَّت ببابلَ مرةً ... أخرىٰ وما رُدَّت لخلق معرب[٦]

قال ابن تيمية رداً علىٰ ذلك: «وأما الثاني: ببابل - فلا ريب أن هذا كذب، وإنشاد الحميري لا حجة فيه؛ لأنه لم يشهد ذلك، والكذب قديم؛ فقد سمعه، فنظمه.

---

(١) القائل ابن المطهر.
(٢) يعني علياً رضي الله عنه.
(٣) يعني بتعبيرها النهر، بجعلها تعبره، وتَجُوزه.
(٤) منهاج السنة ٨/ ١٦٤ نقلاً عن منهاج الكرامة.
(٥) هو أبو هاشم - أو أبو عامر - إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة ابن مُفرغ الحميري، شاعر رافضي، ولد سنة ١٧٣هـ، وقيل سنة ١٧٨هـ، وقيل سنة ١٧٩هـ. قال عنه ابن حجر: «كان رافضياً خبيثاً».
وقال عنه الدار قطني: «كان يسب السلف في شعره، ويمدح علياً رضي الله عنه».
انظر لسان الميزان ٢/ ١٧٢ - ١٧٥، وفوات الوفيات ١/ ٣٢٠ - ٣٢١.
(٦) منهاج الكرامة لابن المطهر ص١٧٢ - ١٧٣، ومنهاج السنة ٨/ ١٦٤ - ١٦٥.

وأهل الغلو في المدح والذم ينظمون ما لا تتحقق صِحَّتُهُ، لاسيما والحميري معروف بالغلو»[١].

ثم أورد بعد ذلك كلاماً طويلاً أثبت من خلاله بطلان تلك القصة، ومخالفتها للنقل، والعقل، والواقع[٢].

ثم ذكر بعد ذلك أن هذا الحديث قد صُنِّف فيه مُصَنَّف جُمعت فيه طرقُه، صنفه أبو القاسم عبداللَّه بن عبداللَّه بن أحمد الحكاني سماه «مسألة تصحيح رَدِّ الشمس، وترغيب النواصب الشُّمْس[٣]».

ثم استعرض ابن تيمية ذلك المُصَنَّف، وناقش ما ورد فيه، وبيَّن بطلان الحديث الوارد فيه، وأظهر ما بين الروايات فيه من التناقض، والبطلان بكلام يطول ذِكْرُه[٤].

ثم أكَّد في آخر مناقشته لهذا المصنَّف ما ذكره في بداية كلامه من أن الحديث كذب، وأن أهل العلم بالحديث رووا فضائل علي، وذكروها في الصحاح، والسنن والمسانِد، رووها عن العلماء الأعلام الثقات المعروفين؛ فلو كان هذا مما رواه الثقات لكانوا أرغب في روايته، وأحرص الناس على بيان

(١) منهاج السنة ١٦٨/١.
(٢) انظر منهاج السنة ١٦٩/٨ ـ ١٧٢.
(٣) الشُّمس: جمع شَموس، يقال: هو الرجل الصعب الخلق، العسر في العداوة، الشديد في الخلاف على من عانده. انظر معجم مقاييس اللغة ٢١٢/٣ ـ ٢١٣، ولسان العرب ١٧٤/٦.
(٤) انظر منهاج السنة ١٧٢/٨ ـ ١٩٧.

صحته.

لكنهم لم يجدوا أحداً رواه بإسناد يُعرف أهله بحمل العلم، وبالعدالة والضبط مع ما فيه من الأدلة الكثيرة علىٰ تكذيبه[١].

ويذكر بعد ذلك قولَ مُصَنِّفِ كتاب «مسألة في تصحيح رد الشمس...»، فيقول: «قال[٢]: وقال أبو العباس بن عقده، حدثنا جعفر بن محمد بن عمر أنبأنا سليمان ابن عباد سمعت بشار بن دراع قال: لقي أبو حنيفة محمدَ بنَ النعمان[٣]، فقال[٤]: عمن رويت حديث رد الشمس؟ فقال[٥]: عن غير الذي رويت عنه (يا سارية الجبل)[٦].

قال المصنف[٧]: وكل هذه أمارات ثبوت الحديث»[٨].

---

(١) انظر منهاج السنة ٨/١٩٦.

(٢) القائل هو أبو القاسم الحكاني، صاحب مصنف (مسألة في تصحيح رد الشمس..).

(٣) هو محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي، أبو جعفر الكوفي المتكلم المعتزلي الشيعي ت١٧١ ـ ١٨٠هـ، والرافضة تنتحله تسمية: مؤمن الطاق.
كان صيرفياً بطاق المحامل؛ اختلف هو وصيرفي في نقد درهم، فغلبه هذا، وقال: أنا شيطان الطاق؛ فلزمته. انظر تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق د. بشار عواد معروف ٤/٦٥٢.

(٤) القائل أبو حنيفة.

(٥) القائل محمد بن النعمان.

(٦) يقصد حديث عمر بن الخطاب مع سارية.

(٧) المصنف هو الحكاني مصنف كتاب «مسألة في تصحيح رد الشمس».

(٨) منهاج السنة ٨/١٩٧.

قال ابن تيمية معلقاً: «قلت: هذا يدل علىٰ أن أئمة أهل العلم لم يكونوا يصدقون بهذا الحديث؛ فإنه لم يَرْوِه إمام من أئمة المسلمين.

وهذا أبو حنيفة أحد الأئمة المشاهير، وهو لا يُتَّهم علىٰ عليٍّ؛ فإنه من أهل الكوفة، وقد لقي الشيعة، وسمع من فضائل علي ما شاء اللَّه، وهو يحبه ويتولاه.

ومع هذا أنكر هذا الحديث علىٰ محمد بن النعمان.

وأبو حنيفة أعلم، وأفقه من الطحاوي وأمثاله، ولم يُجِبْهُ ابن النعمان بجواب صحيح، بل قال: (عن غير من رويت عنه حديث (يا سارية الجبل)»[1].

إلىٰ أن قال ابن تيمية: «هب أن ذلك[2] كذب؛ فأي شيء في كذبه مما يدل علىٰ صدق هذا[3]؛ فإن كان كذلك فأبو حنيفة لا ينكر أن يكون لعمر وعلي وغيرهما من كرامات، بل أنكر هذا الحديث[4]؛ للدلائل الكثيرة علىٰ كذبه، ومخالفته للشرع والعقل، وأنه لم يروه أحد من العلماء المعروفين بالحديث من التابعين، وتابعيهم وهم الذين يروون عن الصحابة، بل لم يروِه إلا كذَّاب، أو مجهول لا يُعلم عدلُه وضبطُه؛ فكيف يقبل هذا

---

(١) منهاج السنة ٨/٩٧.

(٢) يعني هب أن حديث (يا سارية الجبل)، ويقصد بهذا الحديث ما جاء في مناداة عمر بن الخطاب لسارية.

(٣) يعني علىٰ صدق حديث (رد الشمس).

(٤) حديث رد الشمس.

من مثل هؤلاء؟!»[١].

ثم يختم ابن تيمية كلامه مقرراً، ومؤكداً محبة علماء المسلمين لعلي رضي الله عنه وفرحهم بما يصح من مناقبه، **فيقول**: «وسائر علماء المسلمين يودون أن يكون مثل هذا صحيحاً؛ لما فيه من معجزات النبي ﷺ وفضيلة علي على الذين يحبونه، ويتولونه.

لكنهم لا يستجيزون التصديق بالكذب؛ فردوه ديانةً»[٢].

فهذه أمثلة يسيرة تدل على طول نفسه في الرد والتقرير، وإلا فالأمثلة على ذلك كثيرة جداً في آثاره؛ خصوصاً في (منهاج السنة) و(الجواب الصحيح)[٣].

۞ ثالث وثلاثون: مطالبته الخصم بصحة الدليل، وصدق الدعوى:

وهذا مما يقع له كثيراً، وذلك في مناقشاته للشيعة خصوصاً في مناقشاته لابن المطهر؛ حيث يطالبهم بذلك أولاً قبل الدخول في تفصيل تكذيبه لهم فيما يذكرونه من الكرامات المزعومة؛ لأنه إذا لم يصح الدليل لم يعد لما ذكروه أي قيمة، فتراه **يَذْكُر** في بداية مناقشاته لابن المطهر مثل قوله: «**أين إسناد هذا النقل، وبيان صحته؟**»[٤].

---

(١) منهاج السنة ٨/١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) منهاج السنة ٨/١٩٨.

(٣) انظر على سبيل المثال تفضيله للطرق التي تثبت بها المعجزات؛ حيث ذكر ست طرق فصَّل القول فيها في ست وخمسين صفحة. انظر الجواب الصحيح ٦/٣٢٤ ـ ٣٨٠.

(٤) منهاج السنة ٨/١٦١، وانظر ٧/٣٧١.

أو مثل قوله ـ كما في الحكاية الماضية التي ذكر ابن المطهر فيها أن الماء زاد بالكوفة، وخاف الناس الغرق؛ ففزعوا إلىٰ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «أحدها: المطالبة بأن يقال: أين إسناد هذه الحكاية الذي يدل علىٰ صحتها وثبوتها؟

وإلا فمجرد الحكايات المرسلة بلا إسناد يقدر عليه كل أحد، لكن لا يفيد شيئاً»(١).

وقال في موضع آخر مقرراً هذا المعنىٰ: «فالأصل في النقل أن يرجع فيه إلىٰ أئمة النقل، وعلمائه، وَمَنْ يُشْرِكُهم في علمهم عَلِمَ ما يعلمون، وأن يستدل علىٰ الصحة والضعف بدليل منفصل عن الرواية؛ فلا بد من هذا وهذا»(٢).

إلىٰ أن قال: «وإلا فمجرد قول القائل: (رواه فلان) لا يُحْتَجُّ به لا أهل السنة، ولا الشيعة.

وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مُصَنِّف؛ فكل حديث يُحتج به نطالبه من أول مقام بصحته»(٣).

هذا وإن من أهم ما يدعوه إلىٰ المطالبة بصحة الدليل أنه يرىٰ أن «الكلام مع الشيعة أكثره مبني علىٰ النقل؛ فمن كان خبيراً بما وقع، وبالأخبار الصادقة التي توجب العلم اليقيني علم انتفاء ما يناقض ذلك يقيناً»(٤).

---

(١) منهاج السنة ٨/١٩٩.
(٢) منهاج السنة ٧/٤٢، وانظر ٧/٣٧١.
(٣) منهاج السنة ٧/٤٢.
(٤) منهاج السنة ٧/٤٤١.

❁ رابع وثلاثون: افتراع المعاني اللطيفة، والأساليب البارعة، والتراكيب المعبرة عن المصطلحات:

وهذا ظاهر في آثاره، ويكاد يكون أكثرها من مبتكراته.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله في معرض مناقشته للفلاسفة في إبطالهم للمعجزات[1]: «والمقصود هنا أن أقوال هؤلاء ليست مطابقة لما دل عليه العقل الصريح؛ فلا هي موافقة للمنقول الصحيح، ولا المعقول الصريح.

ولكنهم يسفسطون في العقليات[2]، ويقرمطون في

---

(١) الرسالة الصفدية ص١٧٩، وانظر النبوات ٢٩٦/١.

(٢) قوله: «**يسفسطون**»: من السفسطة: وهي لفظ مُعَرَّب مركب في اليونانية من كلمتين: (سوفيا) وهي الحكمة، و(اسطس) وهو المموه؛ فمعنى السفسطة: حكمة مموهة، ويراد بالسفسطة: التمويه والخداع، والمغالطة في الكلام.
والغرض من ذلك: تغليط الخصم، وإسكاته.
والسوفسطائية طائفة من الفلاسفة تقوم على إنكار الحقائق، والقياسات الوهمية.
ومؤرخو الفلسفة اليونانية يكتبون عن السوفسطائيين، وهم أناس عرفوا بهذه المهنة التي ازدهرت في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد. انظر التعريفات للجرجاني ص١٢٤، وإحصاء العلوم للفارابي، قدم له، وشرحه، وبوبه علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٦م، ص٣٨ ـ ٣٩، وتاريخ الفلسفة ليوسف كرم ص٤٥.
ومقصود شيخ الإسلام بقوله: «**يسفسطون في العقليات**» أنه أراد أن يبين بطلان مقالة أولئك، وأنهم يموهون ويغالطون في الأمور العقلية الواضحة الثابتة؛ فكل من أنكر حقاً واضحاً، وموَّه فيه =

السمعيات[١]».

= بالباطل فهو مسفسط.

(١) قوله: «يقرمطون في السمعيات»: قوله: «يقرمطون»: جاء في لسان العرب: «القرمطة في الخط دقة الكتابة، وتداني الحروف، وفي المشي مقاربة الخطو، وتداني المشي» لسان العرب ٧/٣٧٧..

هذا معناه في اللغة.

وأما في الاصطلاح: فهو نسبة إلىٰ القرامطة الباطنية.

وسموا بذلك لأسباب:

الأول: أن داعيةً لهم من ناحية خوزستان قَدِم سواد الكوفة، ونزل علىٰ رجل يقال له: كَرْمِيته، لُقِّبَ بهذا؛ لحمرة عينيه؛ فسمي الداعية باسم الذي كان نازلاً عليه، ثم خفف فقيل: قرمط.

الثاني: أنه نسبة إلىٰ حمدان قرمط، الذي قيل: إنه لقب بذلك؛ لقرمطة في خطه، أو خطوه. انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص ٩٤.

الثالث: نسبة إلىٰ رئيس لهم من سواد العراق من الأنباط يلقب بقرمطوية؛ فنسبوا إليه.

الرابع: أن قرمطاً كان غلاماً لإسماعيل بن جعفر.

وقيل غير ذلك. انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي، دراسة وتحقيق د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص١٢٦-١٢٧، والقرامطة لابن الجوزي، تحقيق محمد الصباغ، منشورات الكتاب الإسلامي، ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص٣٨-٤٧، وانظر مآثر الأنافة في معالم الخلافة للقلقشندي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٦٤م، وأعيد طبعه في الأوفست ١٩٨٠م، ١/٢٥٤-٢٥٥.

والقرامطة باطنية يدَّعون أن لنصوص الشرع باطناً يخالف ظاهرها، =

وقال في معرض كلامه عن أبي حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتأثره في الفلسفة: «ولهذا جعلوا كثيراً من كلامه برزخاً بين المسلمين، والفلاسفة المشائين[١]؛ فالمسلم يتفلسف به على طريقة المشائين تَفَلْسُفَ مسلم، والفيلسوف يُسْلِم به إسلامَ فيلسوف؛ فلا يكون مسلماً حقاً، ولا فيلسوفاً محضاً على طريقة المشائين»[٢].

وقال في الواسطية في تقرير الجمع بين علو اللّه - عَزَّ وَجَلَّ - وقربه ومعيَّته: «وما ذكر في الكتاب من قربه ومعيَّته لا ينافي ما ذُكر من علوِّه وفوقيته؛ فإنه - سبحانه - ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه»[٣].

= ثم يفسرونها بما لا يوافق شرعاً، ولا لغة، ولا عقلاً. انظر الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي، حققه، وعلق عليه محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص٢٩٤، وانظر القرامطة لابن الجوزي ص٥١ - ٧٢.
ومعنى قوله: «السمعيات»: أي النقليات، وهي الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.
ومراد شيخ الإسلام بقوله: «يقرمطون في السمعيات»: أي أن هؤلاء يؤولون النصوص تأويلاً يخرجها عن معانيها الصحيحة المرادة؛ فمن تأولها على غير وجهها الصحيح ففيه شبه بالقرامطة من هذه الجهة.

(١) المشاؤون: نسبة إلى الفلسفة المشائية، وهي فلسفة أرسطو؛ سميت بذلك، لأنه كان يعلم تلاميذه وهو يمشي.
(٢) منهاج السنة ١/٣٥٧.
(٣) مجموع الفتاوى ٣/١٤٣.

ومن لطائف تراكيبه ـ أيضاً ـ قوله عن السكاكيني[1]: «وهو ممن يَتَسنَّن به الشيعي، ويتشيَّع به السنّي»[2].

وله استعمالات يغاير بينها، ويوردها في سياقٍ دون سياق؛ فتراه ـ علىٰ سبيل المثال ـ يطلق عبارات الفلاسفة، والمتفلسفة، والصوفية، والمتصوفة، والفقهاء، والمتفقهة، والمشايخ، والشيوخ، والفقراء، ونحو ذلك.

ومثل هذه الإطلاقات تحتاج إلىٰ تتبع، ودراسة، وبيان مقاصده منها.

هذا ما تيسر جمعه، واختياره من أضواء علىٰ سيرة ابن تيمية، ومنهجه؛ فأسأل اللَّه أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.



(١) هو محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمذاني الدمشقي الشيعي المعروف بالسكاكيني؛ لأنه كان يحترف صناعة السكاكين عند شيخ رافضي، فأفسد عقيدته، ولد سنة ٦٣٥هـ، وتوفي سنة ٧٢١هـ. انظر الدرر الكامنة لابن حجر ٤/٣٠ ـ ٣١.

(٢) الدرر الكامنة لابن حجر ٤/٣٠.

۞ الفهرس ۞